الأُصُولُ الثَّلاثَةُ

(عقيدة التوحيد، الرسالة، الآخرة)

محمد الرابع الحسني ندوي

الرئيس العام لندوة العلماء بلكناؤ (الهند)

الناشر

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

الأصول الثلاثة

(عقيدة التوحيد ، الرسالة ، الآخرة)

محمد الرابع الحسني الندوي

الرئيس العام لندوة العلماء بلكناؤ(الهند)

الناشر

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء لكناؤ(الهند)

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

ثمن النسخة: ٨٠ روبية هندية

ملتزم الطبع والنشر

مؤسسة الصحافة والنشر

ص ب ٩٣ ، ندوة العلماء،لكناؤ، الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى الدين، أما بعد.

فإن قوام العبودية من العبد لربه الأعلى، هو تصحيح العقيدة والإيمان بمستلزماتهما، ومن تطرَّق إلى عقيدته خلل، وتعرض إيمانه لفساد، لم تقبل منه عبادة، ولم يصح له عمل، ومن صحت عقيدته، واستقام إيمانه، كان القليل من عمله كثيراً، وهنا وجب على كل إنسان أن لا يدخر وسعاً في تصحيح إيمانه، وأن يكون الحصول عليه والاستيثاق منه غاية عمله ونهاية سؤله، لا يعدل به شيئاً ولا يتأخر فيه دقيقة.

ومن خصائص الدين الإسلامي المتين والشريعة الإسلامية الغراء التي أكملها الله تعالى على خاتم أنبيائه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم: الانسجام التام، والوحدة الكاملة، فلا يتغيران ولا يتفرقان في عصر وزمان، أما البدع والمحدثات، فلا توافق فيها ولا انسجام، فتختص بدع كل بلد من البلدان، بل بدع كل ولاية، وكل مدينة، وكل حي من الأحياء، وكل قبيلة من القبائل، وقد عارض الصحابة رضي الله عنهم وأئمة الدين وفقهاء المسلمين وجميع المجددين

والمصلحين والعلماء الربانيين في عصورهم محدثات زمانهم، معارضة عنيفة قوية، ولقي هؤلاء الدعاة والمصلحون والمجددون في سبيل ذلك من الأذى والاضطهاد ما لقوا، ولكن لم يبالوا بما أوذوا به في سبيل الله، واعتقدوا أن عملهم هذا جهاد الساعة والمهمة الدينية المقدسة لصيانة الشريعة الغراء والدين الخالص من التحريف والتزوير.

فطبيعة هذا الدين وسمته الأولى وشعاره المميز الأول، هو التركيز على العقيدة أولاً وقبل كل شيء، فما زال الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعون إلى عقيدة معينة يوحى بها إليهم، يدعون إليها، ويطالبون بها، لا يقبلون عنها صرفاً ولا عدلاً، ولا يبغون بها عوضاً ولا بدلاً.

وإن أصل المعتقدات وأساسها هو توحيد الإله، والإيمان بالله الخالص من مشوبات الشرك، ومن مستلزمات هذا الإيمان، الإيمان بكتبه وملائكته ورسله، هذا هو الأصل الأول من الأصول الثلاثة، ثم يأتي الأصل الثاني وهو الإيمان بالرسالة، وبختم النبوة على سيدنا محمد رسول الله وخاتم النبيين، وأما الأصل الثالث فهو الإيمان بالآخرة عندما يبعث الناس بعد الموت، والحشر والجنة والنار، ويكون العقاب والثواب وتكريم المؤمنين برؤية الله، وهذه العقيدة هي الأصل الثالث.

وإن هذه الأصول الثلاثة هي بمثابة أصل العقيدة والدين الذي أكمله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويؤكد القرآن الكريم ذلك: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا "(المائدة: ٣) وجاء في موضع آخر: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ "(الأحزاب: ٤٠).

كانت الحاجة ماسة إلى فهم هذه الأصول الثلاثة والأسس القيمة التي بنى عليها دين الإسلام، وعليها مدار الإسلام، وقد ألف علماؤنا كتباً نافعة علمية، أشهرها وأهمها العقيدة الطحاوية، والعقيدة الواسطية، والعقيدة النسفية، وللعلماء المتأخرين كتب كالعقيدة الحسنة التي شرحها العالم الهندي الكبير الشيخ محمد أويس النجرامي الندوي، و"رسالة التوحيد" للعالم الكبير الداعية المجاهد الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي التي ترجمها إلى العربية الفصحى سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله تعالى- فهما في المقرر الدراسي في دار العلوم لندوة العلماء.

ولكن بعض إخواننا أصروا علىَّ أن أخرج كتاباً موجزاً للطالبين والطالبات على طراز تلك الكتب النافعة القديمة والمتأخرة مع تقديم أخي الراحل فضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي الذي كان رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء، ولكنه توفي قبل أن يرى هذا الكتاب النور، رحمه الله تعالى رحمة الله واسعة وأدخله في العليين مع الأبرار والمقربين، ولعل هذا التقديم تقديمه الأخير لأي كتاب، فجزاه الله تعالى خير الجزاء وجعله صدقة جارية وتقبله بأحسن قبول.

ونشكر جميع إخواننا الذين ساعدونا في إخراج هذا الكتاب كالأخ الفاضل محمد نعمان الدين الندوي والعزيزين محمود حسن الحسني الندوي ومحمد وثيق الندوي. وفقهم الله وإيانا لما يحب ويرضى، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

٢/٥/١٤٤٤هـ وكتبه

٢٧/١/٢٠١٩م محمد الرابع الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فكان من فضل الله العظيم على الهند أن قيَّض في كل عصر من يجدِّد دينَه كلما عمّ الفساد، وشاع الشرود الفكري، وفشت البدع والخرافات، وساد نفوذ العلماء المغرضين، وكثرت التأويلات الفاسدة، وأباطيل المشككين والمضللين، وقد قيَّض الله لهذا العمل الجسيم عمل تجديد الدين، وإعادته إلى منهج السلف: الشيخ أحمد السرهندي، ثم قيَّض له شخصية أخرى كانت منتسبة إلى الشيخ السرهندي، لما بدأ الانحراف من جديد، وهي شخصية الشيخ ولي الله الدهلوي الذي عاصر عصر انحطاط الحكم الإسلامي، وتوغُّل أعداء الإسلام، فكافح الخطر الجديد، علمياً وتربوياً، وأنشأ هو وأولاده مكتبة علمية زاخرة في الدفاع عن الإسلام ومعتقداته، كما عمروا مراكز التربية والتوعية الإسلامية، والعلوم الإسلامية.

وإن كل حركة ونشاط في حياة المسلمين في الوقت الحاضر في الهند، في مجال التعليم والتربية، والدعوة، والثقافة، والاجتماع

مدين للمشايخ والعلماء الربانيين الذين تأثروا بحركة ودعوة السيد أحمد بن عرفان الشهيد، إنهم كانوا قوام المقاومة والصمود ضد الغزو الفكري والثقافي الذي رافق غزو الإنجليز للهند، فقد كان هؤلاء العلماء الربانيون في مقدمة المقاومة المكشوفة في عام ١٨٥٧م واستشهد ألوف منهم، وكان في طليعتهم مسترشدو السيد أحمد الشهيد رحمه.

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي وهو يبين موقف العلماء بعد الإمام السرهندي تجاه نظرية وحدة الوجود:

" لا بد من إعلان هذه الحقيقة التاريخية كمؤرخ محايد، إنه لم تبق هناك بعد وفاة الإمام السرهندي باستثناء سلسلته وطريقته الخاصة التي انتشرت على أيدي ابنه الشيخ محمد معصوم في الهند وخارج الهند، نزعة واضحة حاسمة فيما يتعلق بنظرية وحدة الوجود، ولم يبق ذلك اليقين والإيمان بصحة نظرية وحدة الشهود التي رفع الإمام السرهندي لواءها، وكان يقول بها على بينة ويدعو إليها على بصيرة، ونشأت بعد وفاته نزعة جديدة في أوساط التصوف والطرق الصوفية والأوساط التي كانت تنتمي إليها هي نزعة التوفيق والتطبيق بين النظريتين حتى قال بعض كبار العلماء المحققين إن هذا النزاع كان نزاعاً لفظياً صرفاً، وقال بعضهم: إن الإمام السرهندي أخطأه التوفيق في هذا المجال، وأنه لم يطلع على جميع مؤلفات الشيخ الأكبر ابن عربي، ولأجل ذلك ألف الشيخ غلام يحيى البهاري(م١١٨٠هـ) كتاباً بعنوان "كلمة الحق" صرح فيه بتحقيق الإمام السرهندي وبيَّنه بياناً شافعاً، وردّ على تلك النزعة

التطبيقية التي كان بعض أوساط السلسلة المجددية أيضاً يحاول على أساسها التوفيق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود، وإذا كان هناك في هذه السلسلة المجددية العالية بعد وفاة الإمام شيخ من المشائخ العارفين المحققين يدعو إلى نظرية وحدة الشهود الواضحة النيرة، ويسير على آثار الإمام السرهندي فهو شيخ السلسلة المجددية الأحسنية (وهي سلسلة الشيخ السيد آدم البنوري خليفة الإمام السرهندي التي تسمى السلسلة الآدمية والسلسلة الأحسنية) المعروف، الداعي إلى الله، والمجاهد في سبيل الله، الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الرائي بريلوي(ت ١٢٤٦هـ) "[1].

وكان في مقدمة العلماء الذين كافحوا خطر التنصير والتغريب والعقائد الباطلة والاتجاهات المنحرفة، الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم بديوبند، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ خليل أحمد، والشيخ عبد الله الغزنوي، والشيخ عبدالعزيز الرحيم آبادي، والشيخ أبو بكر إبراهيم الآروي، وجميعهم ينتسبون بطريق أو آخر إلى هذه الطليعة المؤمنة.

كان تأثير حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد عاماً وشاملاً،

---

[1] ويمكن أن يكون ذلك نتيجة الميول التي ورثها عن آبائه لأن جده الرابع الشيخ الأجل السيد علم الله الحسني (١٠٣٣- ١٠٩٦هـ) كان خليفة الشيخ السيد آدم البنوري (ت ١٠٥٣هـ) كما يمكن أن يكون نتيجة بحثه وتحقيقه واجتهاده الذي كان جديراً به. (رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ٣/٢٧٦- ٢٧٧، طبع دار الرشيد، لكناؤ، الهند).

ظهر في مكافحة الغزو الاستعماري، ومواجهة الفتن، ومعالجة التحديات الفكرية، وتربية الجيل الناشئ، تعليمياً وثقافياً، وعرض الفكر الإسلامي، وصيانة العقيدة من التشويه والتحريف، وتنقية الإسلام من الشوائب، وبذل العلماء المنتسبون إليها والمسترشدون من خلفاء الإمام الشهيد، جهوداً جبارة ومشكورة في إنشاء مدارس ومراكز الإصلاح والتربية، وخدموا العلوم الإسلامية، ودافعوا عن الإسلام علمياً ودينياً، وقد أدّوا دوراً رائداً في نشر العلوم الإسلامية، وصيانة العقيدة من التحريف.

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي في مقدمته على كتاب "العقيدة السنية شرح العقيدة الحسنة" للشيخ محمد أويس النجرامي الندوي وهو يلقي الضوء على العلماء المسلمين الغيارى الذين نفوا عن الدين الإسلامي تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وعرضوا عقيدة التوحيد، وقاوموا آثار الفلسفة اليونانية ومفروضاتها وتهويلاتها:

"كان المسلمون في حاجة إلى من يؤسس عقيدته وتفكيره على ما ثبت من الكتاب والسنة، وآمن به السلف، ويجعله الأساس، وينظر في الفلسفة وغير الفلسفة كعلم يناقش ويبحث فيه، وينكر بعضه ويأخذ بعضه، ويستعرضه استعراضًا علميًا حرًا لا تقليد فيه ولا استسلام، ولا يأخذ من مفروضات الفلاسفة اليونانيين ومقلديهم ومستلزماتهم إلا ما قام عليه الدليل ورجح في ميزان العلم، ولا ينظر إلى أرسطاطاليس وأضرابه كآلهة أو أنبياء معصومين عن الخطأ، وكان المسلمون في حاجة إلى نوابغ مستقلين في التفكير، مجتهدين

متمسكين ثائرين مؤمنين، هدامين بنائين، يجمعون بين العلم الواسع العميق للكتاب والسنة، والنظر الدقيق والعلم الغزير للمناهج الكلامية والمذاهب الفلسفية، يواجهون الفلسفة وآراء الفلاسفة القدماء وجهًا لوجه، يؤمنون بالقرآن كما أنزل، ويؤمنون بالله كما وصف نفسه، من غير تحريف ولا تأويل ويفسرون ذلك كله تفسيرًا يقره العقل والمنطق، ويؤيده العلم والبرهان.

كان من هؤلاء الثائرين المؤمنين، الثائرين على الفلسفة ومفروضاتها وتهويلاتها، والمؤمنين بكتاب الله ووصف الله نفسه ظاهرًا وباطنًا، علماء ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[1] لم يخل منهم عصر، وكان منهم ومن أشهرهم شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الحراني الدمشقي في القرن الثامن، فقد جمع ـ كما شهد به أعلام هذه الأمة ونطقت به كتبه ـ بين الإيمان القوي بكل ما جاء به الرسول ونطق به الكتاب، والاقتناع بعقيدة السلف الصالح، والاطلاع الواسع الذي لا يرام فوقه على ما دوّن في صحائف هذه الأمة في الماضي، والعلم الدقيق العميق بفلسفة اليونان ومنطقهم، والمذاهب التي نشأت في الإسلام بتأثير الفلسفة اليونانية في قليل أو كثير، والنقد القوي الحر الجرئ لمناهجها وبحوثها، وقد رزق تلميذًا وخليفة مشى على أثره، وشرح ما أبهمه، وجمع ما نشره، وأكمل ما بدأه، وهو العلامة ابن القيم الجوزية.

و كان من خير من يلحق بهما ويذكر معهما شيخ الإسلام

---

[1] من لفظ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

حكيم الأمة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي (١١٧٦م) صاحب " **حجة الله البالغة** " فقد جمع بين العقيدة السنية السلفية والفهم الدقيق للقرآن، والخبرة الواسعة بالحديث، والعلم بأسرار الشريعة، وبين الدراسة العميقة الواسعة للفلسفة اليونانية وعلوم الحكمة والتصوف علمًا وعملاً، ووصل إلى درجة الاجتهاد[١] وهو الذي نشر علم الحديث وروج بضاعته في الهند، ودافع عن الإمام ابن تيمية والمحدثين، وألف الكتب البديعة في مقاصد الإسلام والشريعة منقطعة النظير في مكتبة الإسلام العامرة الواسعة[٢].

و كان هؤلاء - ومن كان على شاكلتهم - أجدر الناس بشرح العقيدة الإسلامية وعرضها إذ كانوا وسطًا بين الجامدين القشوريين والجاحدين المؤولين الذين يصرفون الكلم عن مواضعه، يجمعون بين المعقول والمنقول والشريعة والحكمة، مطلعين على المناهج الكلامية، متمسكين بالكتاب والسنة وعقيدة السلف، وكانت كتبهم ومؤلفاتهم أجدر بالتدريس والاعتناء والشرح والإيضاح من كثير من الكتب التي يعنى بها في مدارسنا وجامعاتنا.

و كان كتابه "**العقيدة الحسنة** " متنًا وجيزًا محكمًا يجمع بين الدقة والسهولة، وقد اشتملت على اللب اللباب والمهم من العقيدة

---

[١] قال الأمير صديق حسن خان صاحب المؤلفات الكثيرة السائرة " لو كان في العصر الأول لعدَّ من المجتهدين الكبار".

[٢] اقرأ ترجمته الضافية في الجزء السادس لنزهة الخواطر للعلامة السيد عبد الحي الحسني، طبع دائرة المعارف في حيدرآباد الهند.

وعلم التوحيد الذي لا يسع المتعلم جهله، وقد اختارته ندوة العلماء للتدريس في دار العلوم التابعة لها، وقررته الجامعة الإسلامية في عليكره وبعض المدارس الأخرى على قلة عددها وكثرة من جهل قيمته ولم يعرف قدره"[١].

و قام سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي الذي ينحدر إلى أسرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد التي كانت متمسكة بعقيدة التوحيد الصافية النقية، بنقل كتاب "تقوية الإيمان" للشاه إسماعيل الشهيد إلى العربية باسم" رسالة التوحيد"، وهو كتاب مهمّ في شرح وبيان عقيدة التوحيد.

وفي العهد الأخير نبغ في هذه الأسرة فضيلةُ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الذي ينهج منهج الشيخ أبي الحسن الندوي في الدعوة والتربية والتعليم والتوجيه والإرشاد وهو منهج السلف الصالح، وهو منهج ندوة العلماء الذي يعرف بالوسطية والاعتدال والجمع بين الأصالة والمعاصرة، ومعالجة القضايا بالحكمة والموعظة الحسنة، ومراعاة البيئة والطبيعة مع التمسُّك بعقيدة التوحيد النقية الصافية، والتزام أصول الإسلام وتعاليمه، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله.

ونظراً إلى الطبيعة المعاصرة وأذهان الناشئة المسلمة قام فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي بإعداد رسالة في هذا الموضوع بلغة سهلة تسيغها الأذهان المعاصرة، وبإيجاز يفي بالحاجة إلى معرفة مبادئ الشريعة الإسلامية والعقائد الإسلامية.

---

[١] راجع العقيدة السنية شرح العقيدة الحسنة للشيخ محمد أويس النجرامي الندوي.

ومما حفزه على هذا التأليف ما كان يشعر به من مدة طويلة أن سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي لم يتحدث في كتابه " الأركان الأربعة" عن أصول الإسلام" (الإيمان بالله، وعقيدة التوحيد، والإيمان بالرسالة، والإيمان بالآخرة) وكان قد شعر المؤلف نفسه بضرورة ذلك، وقد سأله بعض كبار علماء الحجاز ومصر والشام لماذا لم يبحث في كتابه هذا العقائد الأساسية، فردّ عليهم أنه ينوي أن يضع كتاباً مستقلاً في الموضوع باسم "الأصول الثلاثة"، وقد جمع المواد المرتبطة بهذا الموضوع، وقد أشار إلى ذلك في كتابه " في مسيرة الحياة" فيقول:.

" وكنت أعلم أن موضوع الدراسة المقارنة لعقائد الديانات يحتاج إلى دقة أكثر، وسعة في المطالعة، ومراجعة المصادر الأجنبية (اليهودية والمسيحية والهندوسية) وهي أكثرها بالإنكليزية واللغات الغربية، ولم تكن عيني إلى عام ١٩٧٧م (حيث أجريت - بفضل الله تعالى- العملية الجراحية فيها في أمريكا بنجاح) بحيث أقدر على مراجعة الكتب بنفسي، ورأيت أنه سوف لا يتيسر لي في وقت قريب أن أخرج كتاباً مستقلاً مفصلاً في هذا الموضوع، فحاولت عرض العقائد الصحيحة لأهل السنة والجماعة في ضوء الكتاب والسنة وكتب العلماء الراسخين في كتابي" العقيدة والعبادة والسلوك" الذي طبع بالعربية عام ١٩٨٢م ونشرت ترجمته بالأردية باسم "دستور حيات" عام ١٩٨٣م وقديماً قيل: "ما لا يدرك كله لا يترك جله"[1].

---

[1] في مسيرة الحياة: ١/٣١١.

فكانت الحاجة إلى إعداد كتاب في هذا الموضوع، فألف فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي (الرئيس العام لندوة العلماء) رسالة في الموضوع، وها هي بين أيديكم، فأرجو أن هذا الكتاب يوافق أذهان الناشئة ويلائم الطبيعة المعاصرة، والله ولي التوفيق.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

رئيس الشئون التعليمية

لندوة العلماء لكناؤ (الهند)

٢./٤/ ١٤٤.هـ

٢.١٨/١٢/٢٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المبادئ والأسس للعقائد والأصول

المبدأ الأول :

إن المحور الأساسي المشترك الذي تدور حوله الشريعة المحمدية وتشاركها فيه الشرائع السابقة كلها، هو مبدأ التوحيد الذي يتطلب منا أن نؤمن بأن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان والجان، والمخلوقات الأخرى كلها، وهوالذي يرزقهم، وهو الذي جعل السموات والأرض، وخلق الكون ويدبر الأمر فيه، فالإيمان به وإخلاص العبادة له واجب لا يصِحُّ الإعراض عنه بأي حال من الأحوال، والإشراكُ به والعبادةُ لغيره والسجودُ والخضوعُ لأحد سواه ظلم لا يغفر، وعمل يجلب سخط الله وغضبه، ولم يأذن الله بأن يشرك أحد في عبوديته وألوهيته وربوبيته وقدرته وخلقه، هذا هو التوحيد الخالص الذي دعا إليه سائر الأنبياء والمرسلين في عصورهم، وقد أمروا بذلك في الكتب المنزلة عليهم، أو الوحي المنزل إليهم بغاية من الأهمية والقوة، فكلٌّ كتاب من الكتب الأربعة السماوية: التوراة الذي أوتي موسى، والإنجيل الذي أوتي عيسى، والزبور الذي أوتي داود، والقرآن الذي أنزل على محمد ـ صلى الله عليهم وسلم ـ يدعو إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين بكل طريق يفهمه مخاطبُه.

المبدأ الثاني :

والمبدأ الثاني هو الإيمان بالأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله إلى

عباده في فترات التاريخ المختلفة ؛ ليعلموهم أوامر خالقهم ونواهيه ، لأنهم لا يقولون إلا ما يوحى إليهم ولا يفعلون إلا ما يؤمرون به ، فتعاليمُ كل نبيّ هي الرسالة الإلهية المنزلة إليه من عند الله ، فيبلغها إلى قومه الذين أرسل إليهم ، ويقول : إني رسول الله إليكم ولا أقول إلا ما أوحى إليَّ ربي اللهُ ، فاتبعوا ما جئت به إليكم من عنده ، فالإيمان بالرسل هو المحور الثاني للشريعة الإسلامية ، وإن آخر الرسل وخاتم النبيين هو محمد بن عبد الله العربي الهاشمي صلى الله عليه وسلم.

المبدأ الثالث :

والمبدأ الثالث هو الإيمان باليوم الآخر ، وهو أن نؤمن بأن هذه الحياة الدنيا تفنى وتزول ، ثم تبدأ الحياة الأبدية الدائمة ، وهي دار القرار والبقاء ، ينتقل إليها كل إنسان لا محالة ، ويجد فيها جزاءه قدر عمله في الدنيا حسب تعاليم النبي المرسل إليه.

المبدأ الرابع :

والمبدأ الرابع هو الإيمان بملائكة الله ، وقد خلقهم الله تعالى لعبادته ، وهم مخلوق سماوي يسكنون في السماء ، لا يراهم الإنسان ، وهم في أغلب الأحيان ينزلون إلى الأرض بشكل غير مريئ ، ويبلغون رسالات ربهم إلى الأنبياء ، وهم يفعلون ما يؤمرون ، ولا يعصون أمر ربِّهم ، ويسبحون باسم ربهم كل وقت ، ولا يفترون عن عبادته ولا يستكبرون.

المبدأ الخامس :

والمبدأ الخامس هو أن نؤمن بأن الله هو الذي خلق سائر

المخلوقات والكائنات، ولم يخلقهم عبثاً؛ بل خلقهم لغرض معين، كان قد تقرَّر قبل خلقهم، كما كان قد تقرَّر كيف يقضون حياتهم في الأرض، فكل شيء؛ خيراً كان أو شراً، يقع كما يريد الله، ويسمى ذلك الإيمانُ بقدر الله؛ خيره وشره، ثم تكون بعد هذه الحياة الدنيا الفانية حياة الآخرة الباقية التي يجد فيها الإنسان جزاء ما عمله في الحياة الدنيا، ويجزى جزاء حسناً أو جزاء سيئاً حسب عمله.

المبدأ السادس:

هو الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله كالزبور على نبي الله داؤد عليه الصلاة والسلام، والتوراة على نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، والإنجيل على نبي الله عيسى عليه الصلاو والسلام، والقرآن الكريم أنزله الله تعالى على خاتم أنبيائه ورسله محمد العربي الهاشمي صلى الله عليه وسلم وهو معجزة الله الخالدة، وبقاء العالم منوط به. وقال عز وجل عن القرآن الكريم والفرقان الحميد: "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ" (الشعراء: ١٩٢- ١٩٦) وقال: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ، هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " (النمل: ١- ٢) وقال: " وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ " (النمل: ٦) وقال: " فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ " (المزمل: ٢.)

هذه هي المبادئ والأسس للدين التي يسمى العمل بها وفق تعاليمها وأحكامها "الشريعة" وهي التي عبر عنها القرآن بالإسلام،

وهو مقبول عند الله ومقرر من عنده، فقال: "إن الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ" فالدين هو الإسلام.

فيجب على كل مؤمن صالح أن يكون عمله بإخلاصه في أداء حق هذه الأوامر الإلهية تحت الأحكام المأمور بها على طريق الوحي الرباني العظيم إلى خاتم أنبياء الله محمد بن عبد الله الأمين في إطار الشريعة الإسلامية، ويكون كل إنسان مسئولاً عن العمل بها، يجزى عليها عندما يدخل في حياته الآخرة وهي مرحلة البعث بعد الموت فيجزى الإنسان ثواباً أو عقاباً في حياته الآخرة على أعماله التي قام بها في حياته الدنيا.

الأصل الأول
التوحيد

كلمة التوحيد والإخلاص ورسالتها :

الإسلام هو دين حنيفي ، نُسب إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وذلك بقوله تعالى : " فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " (آل عمران : ٩٥) وقوله : " مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ " (الحج : ٧٨) وكانت الحنيفية في لغة قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام تعني قطع الإنسان نفسه عن الآخرين ، وأريد بها لسيدنا إبراهيم عليه السلام أنه قطع نفسه عن غير الله تعالى رب العالمين قطعًا كاملاً مثاليًا ، وعني بذلك في الإسلام بحرف " لا " في أول كلمة " لا إله إلا الله " ، فهو يدل على صرف العبد نفسه عما راج من طرق باطلة من دون الله تعالى ، وتأتي بعده كلمة " إلا الله " لتؤكد على أن الاتصال بعد الانقطاع يكون بالعبادة والطاعة خاصًا لله تعالى وحده ، فمن هنا يتحتم علينا أن نأخذ جميع أحكام الشريعة والعبادة من الله تعالى وحده ، وإن ذات الله تعالى أعلى وأرفع وأكبر من كل ما في السموات والأرض والكون من ناحية العظمة والقدرة والتصرُّف ، وهو مالك الملك والإله الواحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ، وهو يملك الخلائق كلها وأهم هذه الخلائق هو الإنسان ، وكلّفه الله تعالى بأداء العمل الذي قرّره له.

إخلاص العمل لله وحده:

قال الله عزَّ وجلَّ: " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ "(الزمر: ٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشركه[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[٢]. وهذا الحديث حديث مهم جدًا، ومن الأحاديث التي يدور عليها الدين.

الإنسان خليفة من الله في الأرض:

و يختار الله تعالى لإبلاغ حكمه وأمره إليه من بين عباده من هذه الخليقة عبدًا يكون أعظم وأعلى صلاحية وجدارة من بين الآخرين من أفراده، وكان يرسل إليه أوامره بواسطة ملك جليل من الملائكة من كل ما يحتاج إليه المخلوق الأرضي "الإنسان" من هداية وإرشاد وتوجيه وحكم، ثم يبلغ هذا العبد المختار أمر ربه إلى الناس الآخرين، وكان يوصف هذا العبد المختار "رسولاً" و"نبيًا"، واستمر ذلك من أول إنسان، وهو آدم عليه السلام إلى القرن السادس الميلادي، وتمَّ وختم على آخر أنبيائه وهو النبي محمد بن عبد الله، وكان صادقًا وأمينًا، قام بتبليغ جميع أحكام الله وأوامره إلينا بصدق وأمانة كاملة، فهي كلها أحكام إلهية جاءت إلينا بواسطة الرسول

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

[٢] اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم.

الأخير صلى الله عليه وسلم كما ورد عنه في القرآن الكريم: " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى " (النجم: ٣ـ٤) وورد في موضع آخر: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " (الأحزاب: ٢١).

تقررت طاعة الله تعالى بما أظهره نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

وبذلك أصبح مما لا بد منه أن نستمد أحكام الدين والشريعة من كتاب الله، ومن حديث رسوله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وسنته، ونعمل بها ونقوم بتنفيذها في أنفسنا، وإن كل ما يختلف عن أحكام الشريعة هذه يعتبر مخالفًا للحق المأمور به من رب العالمين، فإنه لا يستحق العبودية والطاعة من المخلوق البشر إلا الله وحده، فإنه لا شريك له، ولا إله غيره، ولا طريقة للعبادة إلا الطريقة التي قرّرها وبيّنها نبيه الخاتم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأفعاله وأقواله، أو أمر بها، فبذلك تقررت طاعة الله رب العالمين بما أظهره هذا النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وتأسى بأسوته، عملاً أساسيًا للإسلام، فإنه الواسطة بين الإنسان وبين ربه إله العالمين، فلن يقبل عند الله ما لا يوافق سنة رسوله وأسوته صلى الله عليه وسلم.

أهمية العقائد:

يقول سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وهو يشرح هذا الموضوع:

" إن سمة هذا الدين الأولى وشعاره المميز الأول: التركيز على العقيدة أولاً وقبل كل شئ، فما زال الأنبياء من لدن آدم إلى خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم يدعون إلى عقيدة معينة يوحى بها إليهم، يدعون إليها ويطالبون بها، لا يقبلون عنها صرفًا ولا عدلاً،

ولا يبغون بها عوضًا ولا بدلاً، وإن أفضل حياة خلقًا وسلوكًا ورحمةً وبرًا، واستقامة وسدادًا، وإن أنجح إنسان في تأسيس حكومة أو إنشاء مجتمع أو إحداث انقلاب، لا قيمة له عندهم إذا لم يقترن كل ذلك بعقيدة جاءوا بها ودعوا إليها، ولم تقم كل هذه الجهود على أساسها، وهذا هو الخط الفاصل الواضح العريض بين دعوة الأنبياء - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - وبين الزعماء والقادة القوميين والانقلابيين والثوريين والنفعيين والماديين، وكل من كان مصدر تفكيره غير تعاليم الأنبياء وسيرهم لسبب من الأسباب الأصيلة أو الطارئة من التعليم والتربية أو ردّ من ردود الفعل، أو الحب الزائد لتحقيق النتيجة المطلوبة أو قلب نظام أو انتصار وانتقام"[1].

" إن أجل علم أخذ عن الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه - معرفة الله وعلم ذاته وصفاته وأفعاله، وذلك علم يختص بالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - إذ هو علم ليست له وسائل وآلات ومعلومات أولية وتجارب عند البشر، ولا يتناوله القياس ولا يفيد فيه الذكاء والفطنة لفقدان أساس القياس، وتعالى الله - تعالى - عن الأشباه والنظائر، وسموه وتقدسه وتنزهه عن التشبه والتمثل ولبعده عن كل ما عرفه البشر وألفه وجرَّبه في عالم الحس والمادة، لأنه ليس حلبة تجري فيها جياد العقول، وتتسابق فيها عتاق العلم والتجربة.

و كان أجل علم تتوقف عليه سعادة البشر إذ هو الأساس للعقائد والأعمال والأخلاق والمدنية، وهو الذي يعرف به الإنسان نفسه، ويفك لغزة الكون، ويكشف عن سر الحياة، وبه يعين الإنسان مركزه

---

[1] العقيدة والعبادة والسلوك، ص: ٢٤-٢٥.

في هذا العالم وينظم علاقاته واتصالاته ببني جنسه، ويضع منهاج حياته، ويحدد غاياته في ثقة وبصيرة، ووضوح ويقين"[١].

و يقول في موضع آخر:

" وإن عناية الله ـ تعالى ـ الخاصة بهذه الأمة ووعده المؤكد لها بالنصر والتأييد والرضا والعزة والغلبة، إنما هو ـ بصفة خاصة ـ على أساس العقائد الصحيحة والخصائص والصفات الإيمانية، وعقيدة التوحيد الخالصة المبرأة من كل الشوائب، يقول الله تعالى: " وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "(آل عمران: ١٣٩).

و يقول في صراحة ووضوح: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"(النور: ٥٥).

إن ورثة الأنبياء بحق، والعلماء الربانيين الذين يعرفون طبيعة هذا الدين وفطرته الصحيحة، يهيئون الأرض ـ قبل إقامته في مكان ـ ويصلحونها وينظفونها ويمهدونها، ويستأصلون جذور الشرك والجاهلية وعروقها (سواء كانت من بقايا الوثنيات القديمة أو نتائج التأثيرات القومية والمحلية) ويستخرجون جميع بذورها ويقلبون الأرض ظهرًا لبطن، مهما اقتضى هذا العمل منهم من مدة طويلة ومشقة كبيرة، فإنهم لا يستعجلون النتيجة، ولا يفقدون الصبر"[٢].

---

[١] المصدر السابق، ص: ٦٧- ٦٨.

[٢] رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ٤/١١٦- ١١٧.

أول ما تركزت عليه الأديان السماوية هو إصلاح العقائد :

إن الأديان والمذاهب التي ظهرت على وجه الأرض، منها ما اختلقته أهواء الناس، وهي ديانات مصطنعة، ومنها ما قرره الله تعالى بطريق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وسميت بالأديان السماوية، فقد أمر القرآن بالاحتفاظ بها إبقاءً على صورتها الأصلية، واعتبر الديانات المصطنعة مزوَّرة، وسببًا للضلال العام، وجعل غواية الناس كفرًا برب العالمين، وإشراكاً في ألوهية الله تعالى.

فأول ما تركزت عليه الأديان السماوية هو إصلاح العقائد قبل العبادات والمعاملات والأحكام، ودعا كل نبي بادي ذي بدء إلى الإيمان بالله واعتقاده خالق الكون ومالكه، ومعرفة صفاته الصحيحة وقدسيتها واحترامها، وعلَّم أمته منهج عبادة الله وشكره، وجعلها غاية خلق الإنسان في هذه الدنيا، فكانت العبادة نقطة رئيسية لجهوده ودعوته ومساعيه.

أنزل الله رب العالمين على أنبياء هذه الأديان السماوية الكتب التي عنيت بالتوحيد والأعمال الصالحة عناية فائقة، ثم حرَّفها أتباعها على مرور العصور بأهوائهم، وعملوا بها حسب ما دعت إليه أنفسهم، فنزل القرآن وسدد الله به ما كان صحيحًا وموافقًا، ووعد بحفظ كتابه الأخير القرآن الكريم، واستدرك ما فات من الأحكام الدينية التي كانت في الأمم المختلفة، وكانت الحاجة فيها إلى تعديل لازم، وأكمله بخاتم أنبيائه، فجعل الإسلام دينًا باقيًا إلى يوم القيامة، وكاملاً بخاتم أنبيائه وآخر كتبه، فالقرآن الذي هو مهيمن على الصحف السماوية، وآخر الكتب السماوية الباقية خير دليل على هذا.

فالقرآن الكريم يدعونا أولاً إلى العقائد الصحيحة من بين

معانيه الأخرى، ويؤكد على شكر خالق الكون ومالكه وأداء العبادات وفق ذلك، ويوجهنا إلى توجيهات لازمة عن الله العلي الكبير في الآيات الآتية.

قال الله سبحانه وتعالى: سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ" (الحديد: ١ـ٧) وقال: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" (لقمان: ٢٥ـ٢٨).

إن الحقيقة الأولى التي كشفها لنا القرآن هي أن صانع الكائنات واحد، وهو أكبر من كل شئ، كما ورد في سورة الرعد: " قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ

فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (الرعد: ١٦) وورد في سورة الروم " فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". (الروم: ١٧ - ٢٧)

ثم أشير إلى أن وراء صنع الكون غاية معينة، قال الله تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ "(الذاريات: ٥٦-٥٨).

هذه الأرض التي نعيش فيها قد اختيرت تحقيقاً لهذه المهمة، وفوضت إلى الإنسان مسؤوليتها، ومن أوليات هذه المهمة الإيمان بخالق هذا الكون ومالك مخلوقاته وتحقيق معنى الإيمان ومقتضاه الظاهري والعملي، وقد شرحه الله تعالى خالق هذا الكون بكتبه المنزلة

على عباده المصطفين الأخيار، وشرح مع ذلك أن غاية مخلوقات الكون في هذا الكون أن تتعرف على عبادة خالقها ومالكها، فيجزيها جزاءً حسنًا بعد فناء هذه الدنيا في العالم الأفضل منها الباقي الدائم، نظرًا إلى عبادتها وحسن عملها، ومن تجرد عن عبادة الله وحسن العمل في الحياة الدنيا أوصله الله تعالى إلى العقاب في الآخرة، ليذوق وبال أمره، بحيث إن خالق الكون ومالكه قد شرح الخير والشر بكتبه وعباده الأوفياء الأذكياء (الرسل) فتأتي نتيجة عبادته وعصيانه وثمرتهما مستقلة ومطابقة لها، ويتعرض هذا الإنسان لخسارته أو نفعه وفق أعماله، قال الله تعالى: " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ " (الملك: ١-٢) وقال: " هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" (غافر: ١٣-١٧)، وقال: " قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ " (الأنعام: ١٦٤-١٦٥).

فإن الله العلي الكبير قد خلق كل شئ، وجعل له أعمالاً ووظائف، وركز على أن أعماله توافق مرضاته أم لا ؟ هذا ما يثبت

بعد مشاهدة كل موجود، فإن الإنسان الذي يُعَدُّ في المخلوقات الحية في هذه الأرض مخيرًا وعظيمًا، هو مثل الأداة المسيَّرة للماكينة أمام الله العلي الكبير خالق هذه الأرض، وهو مضطر إلى ما يسيِّره الله، حتى إن لقمة الطعام حينما يلقيها الإنسان في فمه لا يملكها، فإنها تدخل إلى المعدة حسب النظام الذي خلقه خالقنا العلي الكبير، مروراً بالأمعاء، ثم تؤثر فيها وتخرج منها في صورة الفضلات، وإن ما أكرمنا الله به من نعمة العلم علَّمنا بها عن هذه اللقمة كيف حصلت، وما هي فائدتها، لئلا تحدث صعوبة في البطن، وتؤثر فيه بشكل يتوافق مع نظامه، ويُخرِج ما كان زائدًا، فهذا الإنسان رغم مواهبه كلها لا يملك من شؤونها الذاتية، إلا أن يُدخِل في بطنه مئات اللقمات مرات كثيرة، وهي تزيد قوة في نظام جسمنا، وكل جارحة من جوارحنا تؤدي مسؤوليتها، وهذا النظام قائم منذ آلاف السنين، فإذا خالفنا أي جزء من نظامه، أُصبنا بالأمراض والأدواء، واضطررنا لمعالجتها إلى الأدوية التي قررها تعالى لنا، ولا يمكن أن نحيد قيد شعرة عن النظام الثابت، فمثلاً للَّبن فوائده المعروفة، بينما السموم أضرارها وأذاها.

الإيمان بالله:

إن أساس عقيدة التوحيد الإيمان بالله، وهو منبع الأعمال، فكان نواةً لتطبيق الإسلام على أحسن وجه، وإن نطاق الإيمان في الإسلام أن يؤمن الإنسان بالله كإله واحد، وبرسله من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره (و هي أمور ثابتة من الله تعالى)، إيمانًا من صميم القلب، فهذا الإيمان يكون أساس نشاطاتنا وأعمالنا كلها، فليس هناك دعامة أقوى منه للأعمال الإنسانية، فإذا نشأ الإيمان في القلب أشرق القلب، وصار مَعِين الحياة

الإنسانية السعيدة، وإذا فُقِد الإيمان تسكَّع الإنسان في كل واد، وأصبحت حياته لا تحمل رسالة ولا تكون آمنة مطمئنة.

الإيمان يعيِّن غاية الحياة ومنتهاها، وهي أن الإنسان خُلِق لمهمة خاصة، وهذه المهمة تتلخص في عبودية الله وأداء أوامره، شكرًا على ما أنعم الله به من الحياة ونعيمها، قال تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " (الذاريات: ٥٦)، ومن آثار العقيدة على الحياة الإنسانية أن الإنسان إذا تغلغل في قلبه الإيمان بأن خالق هذا الكون هو الله وحده لا شريك له، نشأت فيه الثقة أننا تحت كلاءة وعناية خالق الكائنات والمخلوقات ومالكها، وأنه وعد عباده برحمته، فالإنسان يلتجئ إلى الله مفعمًا بهذا الشعور، ويعبده، ويعلق آماله به، وهذا ما يعرف بأساس الأخلاق والأعمال الإنسانية، الحقيقة أنه لا تحدث الموضوعية وقوة التأثير في الأعمال إلا إذا آمن الإنسان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم إيمانًا صادقًا، لأن مصدر جميع أعمال الإنسان الإيمان، فأول ما أكد عليه القرآن هو الإيمان به، قال الله تعالى: " الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ " (البقرة: ١-٣).

من معجزات الإيمان أن العرب الذين كانوا أميين، يعيشون أشبه ما تعيش البهائم، صاروا حَمَلَةَ لواء العلم والثقافة، واستفادوا من قوة الإيمان، فحكموا جزءًا كبيرًا من الأرض، ولا شك أن الإيمان يُحدث في قلب الإنسان ثورة إصلاحية.

هذه الكائنات مثل مملكة، مالكها الله عز وجل، وهو مدبِّرها، فالرسول ترجمانها، والقرآن دستورها، فكل رجل يعترف بقدرته

يجب عليه أن يمتثل أوامره، فصورة امتثال أوامره أن يقوم بأداء الصلاة والصيام والزكاة والحج، ويصوغ حياته في قالب الكتاب والسنة، وإن الكتاب والسنة هما مصدران أساسيان للإيمان، تتكون منهما الحضارة الإسلامية، ويكون قلب الإنسان مستنيرًا بالعمل بتعاليمها.

إن عقائد الحضارة الإسلامية تزيِّن قلب الإنسان في جانب، وتسدِّد حياته المادية في جانب آخر، ذلك أن الإنسان إذا وافق قوله عمله، ونشأ فيه طهارة القلب وصدق العمل، والطهر والعفاف، والأمانة، والحياء والعدل وإيفاء العهد، والعفو والصفح، وعزة النفس، صلَح المجتمع بأسره، وتبدَّل المجتمع غير المجتمع، الذي تتلاشى فيه الخيانة والغدر، والتطفيف في الكيل والوزن، والسيئات، والغيبة والرشوة وادخار الأموال، والانتهازية، وهذا لا يمكن إلا إذا آمن الإنسان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم إيمانًا كاملاً.

و على هذا المنوال يُصلِح الإيمان المجتمع، ويدعم قوته العملية، وجاء التأكيد في القرآن في مواضع شتى، وبأساليب متنوعة على التحلي بهذه الصفات الحسنة المذكورة أعلاه، والابتعاد عن الصفات القبيحة، وذكر فيه أن الحياة الآخرة حق، يحاسب فيها الإنسان على أعماله.

الإيمان بالقدر:

والله خالق الكون والخلق كله، ولما أراد الله خلق مخلوقاته خلقها بقوله: كن فيكون، وقرر لتنفيذه في النظام التكويني الملائكة الذين خلقهم لتنفيذ ذلك مطبوعين بطبيعة مقررة، وأمر بتنفيذه في النظام التشريعي الإنس والجن، وجعل لهما الاختيار في تنفيذ ذلك وعدم تنفيذه، وذلك لامتحانهما في شأن طاعتهما لأمر ربهما أو

عدم الطاعة، ليكون الجزاء حسب العمل ويكون ذلك في الحياة الآخرة، وجعل إيصال أمره بالعمل على المأمور إلى عباده بكتبه التي أنزلها على رسله، وبالملائكة الذين حملوا وحيه سبحانه وتعالى إلى أنبيائه، وجعل الإيمان بكتبه ورسله من سيدنا آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبملائكته الذين يعملون ما يأمرهم به الله، وبالقدر الذي قدره الله تعالى لكونه ولعباده خيراً كان أو شراً، واجبًا تحت العقيدة التي أوجبها الله تعالى لعباده. فيقر المؤمن بها بقوله: "آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى والبعث بعد الموت"، وذكر الله تعالى عن ذلك بقوله: " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ". (البقرة: ٢٨٥).

القلم والقدر:

و في القرآن المجيد: "ن والقلم وما يسطرون" (القلم: ١-٢) وفي حديث أخرجه أبو داؤد في السنن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أوّل ما خلق الله تعالى القلمُ، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيئ حتى تقوم الساعة"[1].

و عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: " قدّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء ".(رواه مسلم)

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى

---

[1] سنن أبي داؤد كتاب السنة باب القدر.

الله عليه وسلم يومًا، فقال: يا غلام ! ألا أعلّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسئل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيئ لم ينفعوك إلا بشيئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيئ لم يضروك إلا بشيئ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف"[1].

العبادة لله وحده:

إن منهج الإيمان والأعمال الصالحة قد شرحه أول الأنبياء أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام في فجر التاريخ الإنساني، ثم حدث فيه تغيير على مر العصور بتأثير التصورات المنحولة والآراء الشاذة، فجعل يظهر في أشكال باطلة من الشرك وعبادة الناس لغير الله، وأرشد الله الناس بأنبيائه عليهم السلام إلى صور العبادة في ضوء العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد، وهي تختلف بعض الاختلاف نظرًا إلى ملابسات أممهم، وبما أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل ومبلّغ الدين الكامل الشامل، فقد أرسى الله سبحانه وتعالى به قواعد العبادة، فهي تمثل جانبًا بدنيًا، كما تمثل جوانب فكرية ومالية، وعيَّن أربعة أركان، منها الصلوات الخمس، التي جمع فيها أربع صور من القيام والركوع والسجود والقعود، ومنها الصيام الذي هو كبت غرائز الجسم لمدة محدودة، ابتغاءً لمرضاة الله تعالى، ومنها الزكاة، إذا زاد المال من الحاجة فإخراج مقدار خاص لذوي الحاجات والفقراء، وجعل مصارف المال وموارده وفقًا لأمر الله تعالى، وإنفاقها حسب الحاجة على المحتاجين، ومنها الحج، الذي

---

[1] رواه الترمذي في السنن وقال حديث حسن صحيح.

يقوم به العبد في خير بقاع الأرض الكعبة وبيت الله الحرام بمكة المكرمة، ويبدي فيه عواطف الحب والعظمة والتقدير، فجعل الارتحال إلى هذا المكان عبادةً وقربةً إلى الله تعالى، وأمر بأن الحج فريضة على من استطاع إلى ذلك سبيلاً، فالإنسان مطالب بأن يطبق هذه العبادات كعلامة لعقيدة التوحيد والطاعات الربانية، قال الله تعالى: "جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ" (المائدة: ٩٧)، وقال: "وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ" (الحج: ٣٢).

فتعود المسؤولية على الإنسان أن يقدِّم أمام ربه آيات الخضوع والاستسلام شكرًا على نعمه التي منحه إياها وفضَّله بها على كثير ممن خلق تفضيلاً، وإن ما يمتاز به الإنسان من مكانة عالية عن المخلوقات يتطلب أن تكون عبادته رفيعة المستوى وجامعة للصفات المطلوبة، وهذا ما يحصل كثيرًا في الصلاة.

القرب بالفرائض أعلى من القرب بالنوافل:

قال الله عزَّ وجلَّ: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ" (آل عمران: ٣١-٣٢)، وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر: "إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ" (الأنفال: ٣٤).

و جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال: "من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبد بشئ أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه"[1].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق في باب التواضع.

فإن العبد المؤمن باتباع السنة النبوية واتقاء المحرمات والشبهات في العقائد، والعبادات والأمور الانفرادية والاجتماعية، وفي علاقة ربه وعلاقة الخلق يبلغ إلى درجات القرب والعناية بالله عز وجل، فيكون له وليًا محبوبًا ومجابًا بالدعوة، وتظهر به الكرامات والخوارق أحياناً بإذن الله، لأن الله عز وجل أحبه، وقال: " كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه"، فكرامات الأولياء حق، ولكن ليست بحجة، لأنه لا سبيل إلى التطلع بأنه من الله، والحجة هي الشريعة، وقد نص القرآن الكريم ونص الحديث النبوي الشريف على ذلك، وهما المصدران الأساسيان للدين المتين.

كل أمر عقيدةً كان أو عملاً يرتبط بتوحيد رب العالمين:

فكل أمر في الإسلام سواء كان عقيدة أو عملاً يرتبط بتوحيد رب العالمين، وسائر نظام الحياة الذي قرره الله تعالى يدور حول هذا المركز، فالتوحيد شرط رئيس بارز في النظام العملي والاعتقادي للإسلام، وهو حقيقة لا بد من اعتقادها بالقلب وإقرارها باللسان.

و كل عمل بدون هذه العقيدة والعمل بها لا قيمة له، يقول الله تعالى: " وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (الزمر: ٦٥) وقال: " وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (المائدة: ٥) فالتوحيد هو المنبع الوحيد لإصلاح الدين والإيمان، وإن الإقرار بوجود الله ووحدانيته، والاعتقاد بأنه أعلى وأجلُّ وإلهٌ فردٌ

صمدٌ، ونيل رضاه مصدر أساس لحياة الإنسان الرشيدة، لو لم تكن عقيدة التوحيد ما أشرق قلب الإنسان ولا استنار ذهنه وتفكيره.

القرآن الكريم يدعو إلى التدبر في وحدانية الله في آياته:

دلل القرآن الكريم على وجود الله تعالى وتوحيده بالدلائل الفطرية والعقلية، وهذا الاستدلال ورد بأسلوب يستطيع أن يدركها كل ذي بصر وبصيرة بسهولة، بل يستسيغها الذهن الإنساني، إلا من فرض على نفسه عدم الإيمان بها، فالمصدر الأول لمنهج الاستدلال في القرآن الكريم هو التفكر والتدبر، يدعو القرآن مرارًا إلى التدبر في وحدانية الله في آياته، فإنه يبين أن في كل مظهر من مظاهر السماوات وكل تغير في الحياة لآيات بينات للفكر الإنساني نحو معرفة الله تعالى، ويستشهد القرآن بمناظر الفطرة على وجود الله، فيقول: هذه المياه الكثيرة والأزهار المتنوعة، وهذه السماوات المزينة بالنجوم، والأرض والقمر، والشمس والشجر والبحر، والنهر تدل على وجود خالق الكون، ورد في القرآن الكريم: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ " (آل عمران: ١٩٠)، وجعل الله تعالى في سورة الأنعام النباتات وتنوعها دليلاً على وجوده، فقال: " وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "(الأنعام: ٩٩) وقال في سورة لقمان: " خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ

دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (لقمان: ١٠- ١١) وقال في موضع آخر: " أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (النمل: ٦١-٦٤).

و كل آية من هذه الآيات دليل مستقل على توحيد الله تعالى، هذا هو منهج الاستدلال العام للقرآن الكريم الذي أخبر به القرآن صدق وجود الله وتوحيده بمظاهر الكون، وهو منهج فطري، بذلك يقع الكلام في القلب، ويتأثر به الذهن، وإن حبوب الغذاء، وعناقيد الأعناب، وطلع النخيل، والخضراوات والزيتون، والأشجار الباسقة، والفواكه المتنوعة، والطيور والدواب، كلها تدل على أن لها خالقًا، فبيَّن القرآن هذه الحقيقة؛ كما أنه لا يصدر عمل بغير عامل، ولا يقوم نظام بدون ناظم، ولا يبدو رسم بدون رسام، فكيف لا يقر كل إنسان بمشاهدة هذه المظاهر بذهن مفتوح بأن لهذا الكون خالقًا ومالكًا، فهذا الكون ليس صدفة، بل هو من صنع الله الذي أتقن كل شئ، وهو وحيد في ذاته، وأمره نافذ في كل شئ من هذا الكون، فكل من له عين مبصرة، وذهن متفكر ينادي برؤيته فجاءةً أن هذا العالم لا يقوم بدون خالق، ولا يجري بغيره.

ألا له الخلق والأمر !!

إن أقوى استدلالات القرآن على وحدانية الله تعالى أن لهذا الكون خالقًا واحدًا ومدبرًا واحدًا، ولو لم يكن الأمر مثل ذلك، أي لو كان هناك خالقان اثنان لفسدت الأعمال باختلاف وصراع بينهما، وعمَّت الفوضى والانحلال في العالم، مثال ذلك أنه لو كان لدولة رئيسان أو أكثر، أو كان مسؤولان عن نظام لكانت تلك الدولة عرضةً للفساد والدمار، قال عز وجل: " مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ" (المؤمنون: ٩١) كما قال الله عز وجل: " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ " (الأنبياء: ٢٢) فهذا دليل قوي على وحدانية الله تعالى أن نظام العالم كله يجري بنسق وترتيب بالغين، تطلع الشمس وتغرب على وقتها، ويأتي الليل ويسفر النهار على أوقاتهما، وتمطر السماء على وقتها، ليس في وسع أحد أن يُطلع الشمس من المغرب بدلاً من المشرق، وإن الإنسان نفسه لعاجز أمام موته، قال الله تعالى: " قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ " (البقرة: ٢٥٨)، وقال: " فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (الواقعة: ٨٣- ٨٧) وقال: " إنا كل شئ خلقناه بقدر " (القمر: ٤٩)، وقال: " فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (الروم: ١٧-٢٧).

هذه هي دلائل فطرية، يعجز أمامها العقل والفهم، فيعترف بأن هناك نظامًا كاملاً من السماء إلى الأرض، وهذا النظام يجري تحت قانون محكم، تلوح في كل جانب منه آثار سلطة مطلقة، وحكمة عصماء، وعلم صحيح، وهي تدل على أن لهذا النظام إلهًا، وهو الله، فقال في سورة إبراهيم مستدلاً على وجود الله تعالى: " أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ".(الآية: ١٠)

فبقاء العالم منوط بأن ليس هناك آلهة، بل إله واحد يملك السلطة الكاملة، والتوحيد ليس حقيقة علمية فحسب، بل حقيقة عملية أيضًا، إن الحياة الإنسانية سواء كانت فردية أو جماعية، تكون منسقة صحيحة بعقيدة التوحيد، وكل إنسان عبد لإله واحد، وبعيد كل البعد عن إرضاء آلهة أخرى.

آثار عقيدة التوحيد على الحياة الإنسانية والمجتمع الإنساني:

و من آثار التوحيد على الحياة الإنسانية أن الإنسان يكون جريئًا شجاعًا، لا يخاف ولا يرهب، كما أن السمة البارزة للشرك والكفر مقابل التوحيد أنه يجعل الإنسان جبانًا، ضعيفًا، مرهقًا، يفكر دائمًا: كيف يرضي الناس، وكيف يخضع أمامهم، فعقيدة التوحيد تُحدث في الإنسان عزة النفس والإباء، ولا يكون الموحِّد مغرورًا ولا متكبرًا، بل ينطبع عليه التواضع وكسر النفس، ولا يكون الموحِّد ضيِّق النظر والقلب، فلا يغصب حقوق أصحابه ولا يضغط عليهم؛ لأنه مؤمن بالله العلي العظيم، ومعتقد بوجوده، يؤمن بقوته المطلقة ويعتبره مالكاً عظيمًا، لا يسأل أحدًا سواه، ولا يطلب غيره، فالموحدون ليسوا بمضطرين إلى السجود أمام الآلهة الكاذبة المتنوعة، إنهم يلجؤون إلى الله فقط؛ لأنه هو الأكبر والقادر المطلق، فكل شئ منه وإليه، وتؤثر عقيدة التوحيد في الحياة الاجتماعية، حيث إن أساس الاجتماع الإنساني يقوم على العدل الكامل والمساواة الصحيحة، وأكبر سبب لفساد العالم المعاصر أن الإنسان لا يثق بتوحيد الرب ولا يتوكل عليه اعتمادًا كاملاً، وقال جل شأنه: " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ " (إبراهيم: ١٢) وقال: " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ " (الفرقان: ٥٨) وقال: " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ " (الطلاق: ٣) وقال: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ". (يس: ٨٢)

لا إشراك في مشيئة الله:

لا إشراك في مشيئة الله، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تأثير لمشيئة أحد في نظام العالم، لأن التوحيد الحقيقي هو توحيد القلب والروح، وإن الصنم الأكبر للإنسان هو ما يخفيه في

قلبه، فكسر هذا الصنم يوافي معنى التوحيد، وبالتوحيد تنشأ في القلب تقوى الله، والخشية له، وابتغاء مرضاته، وعاطفة حب الله تعالى والبغض له، فقد أمر الإنسان بقراءة " إياك نعبد وإياك نستعين"، ضمن سورة الفاتحة في كل صلاة.

علم الغيب:

والمعرفة لما في الكون والعالم تصبح بالنسبة للإنسان وغيره على قسمين: قسم يطلع عليه الإنسان بسعيه نظراً أو تعبيراً وظناً، ويستخدمه لتحسين حياته وتحصيل أهدافه في الحياة التي يعيشها، وقسم آخر وهو أكبر وأعظم وأوسع، فهو قسم يسمى بعلم الغيب، علم لا يستطيع الإنسان إلا ما أخبر به خالقه خالق الأرض والسماء والكون وكل موجودات في هذا الكون، وبناء على غيبة هذا العلم إلا ما أظهره خالق الكون بكتابه أو نبيه، يدخل فيه كل ما له علاقة بحياة الإنسان في الآخرة منذ أن يموت الإنسان، ويفارق هذه الحياة الدنيوية، وهو الذي يخبر به ربنا عن طريق وحيه وكتابه الذي أنزله الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام.

فقد ورد في القرآن الكريم: " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ " (البقرة: ٢٥٥)، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: " قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ " (الأنعام: ٥٠)، وقال عنه جل وعلا بكل صراحة ووضوح: " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (الأنعام: ٥٩). وقال أيضاً: ") وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " (هود: ١٢٣). وقال: " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ " (النمل: ٦٥) وقال: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الأعراف: ١٨٧ - ١٨٨)

الشفاعة:

ويدخل في علم الغيب ما أخبر به ربنا بما يحيط بها من أحوال غيبية، ومنها حصول الشفاعة لنا من أحد مخلوقاته، فإن ذلك يكون ولكن إذا أراد الله ذلك لا غير، قال جل وعلا: " قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " (الزمر: ٤٤) وقال: " يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا " (طه: ١٠٩) وقال: " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون" (الأنبياء: ٢٨). "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء" (البقرة: ٢٥٥).

الملائكة:

وكذلك مخلوقات غير مرئية ومن أهمها الملائكة التي خلقها الله تعالى وقال الإمام القاضي علي بن محمد أبي العز الدمشقي (المتوفى سنة ٧٩٢هـ) في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٩، ط الرسالة العالمية):

"وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها مؤكّلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكّل بالجبال ملائكة، ووكّل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكّل بالرحم ملائكة تدبّر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكّل بالعبد ملائكة تحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكّل بالموت ملائكة، ووكّل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكّل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكّل بالشمس والقمر ملائكة، ووكّل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكّل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلاتها ملائكة.

فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم المرسلات عرفًا، والناشرات نشرًا، والفارقات فرقًا، والملقيات ذكرًا. ومنهم النازعات غرقًا، والناشطات نشطًا، والسابحات سبحًا، فالسابقات سبقًا. ومنهم الصافات صفًا، فالزاجرات زجرًا، فالتاليات ذكرًا. ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله " الفرق والطوائف والجماعات " التي مفردها "فرقة " و" طائفة" و" جماعة ".

و منهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وملائكة قد وكّلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكّلوا بعمارة السموات والأرض بالصلاة والتسبيح والتقديس إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى. (ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠.)

و عن الملائكة قال الله تعالى: " وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ " (الأنعام: ٦١)، وقال: " وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ " (سورة الانفطار: ١ـ١٢) وقال: " فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ" (عبس: ١٣ـ١٦).

الكتب الإلهية :

وإن كل ما خلقه الله تعالى وقرره في الكون، قرر وجوده وانتهائه تقريراً، وقرر شئون وجوده وفنائه قبل وجوده في كتاب يشتمل على كل أمر يتعلق به، وسماه بـ"الكتاب"، وأنه أنزل من هذا الكتاب شئوناً تتعلق بما سيقع أو يقوم به أنبياؤه في تذكير الناس وهدايتهم إلى الحق بطريق وحي محفوظ يوصله الملك إلى نبيه كما تراه في القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى لهداية الإنسان بقوله: "هدى للناس" وكذلك في صحفه المنزلة قبله على سيدنا إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، وقد أوجب على الناس الإيمان بها والعمل بها في حياتهم الدينية، وجعل خاتم هذه الكتب القرآن الكريم، وجعل كتابه هذا والكتب التي أنزلها قبله جزءاً من كتابه الكوني الأعظم، ويكون القرآن الكريم آخر كتاب إلهي مأمور به إلى يوم القيامة.

البدعة والمحدثات :

إن منهاج النبوة هو المنهاج الصحيح الذي ارتضاه الله تعالى والذي كتب له من النجاح والتوفيق والانتاج والأثمار ما لم يكتب لأي منهاج من مناهج الإصلاح والدعوة والتجديد، وأما سواه فهو بدعة وضلالة.

والبدعة هي إدخال شيء في الدين لم يدخله الله ورسوله فيه، ولم يأمرا به، واعتقاد بأنه جزء من الدين، يعمل به احتساباً، مع التزام آدابه، وشروطه المزعومة، كالتزام الحكم الشرعي، والبدعة شريعة وضعية إزاء شريعة إلهية، وتقف نداً للشريعة الإلهية.

وتغض البدعة طرفها عن حقيقة ناصعة، وهي أن الدين قد أكمل، وأن الشريعة قد ختم عليها، فما كان ينبغي أن يتقرر، تقرَّر، وما كان ليتعين فرضاً أو واجباً تعين فرضاً أو واجباً تعين فرضاً أو

واجباً، وأغلقت "دار الضرب" للدين، فأي عملة جديدة تنسب إليه، لا تكون إلا مزورة مزيفة، وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله:

"من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، فإن الله سبحانه يقول: "اليوم أكملت لكم دينكم" فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً".

وإن من خصائص الشريعة المنزلة من الله عز وجل أن تكون سمحة سهلة، صالحة للعمل والتطبيق في كل عصر ومصر، لأن من شرع هذا الدين هو الذي خلق الناس، فهو الذي يعرف ضروراتهم وحاجاتهم، وطبائعهم وطاقاتهم، ومواضع ضعفهم وعجزهم: "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير".

ولأجل ذلك لوحظت مراعاة هذه الأمور كلها في التشريع الإلهي، ولكن إذا اتخذ الإنسان نفسه شارعاً فلا سبيل إلى مراعاة هذه الجوانب المتعددة، وكلما تخبطت البدع والمحدثات بالدين، وتجري تعديلات وإضافات بشرية فيه، يزداد الدين عسراً وضيقاً وتعقداً، حتى يضطر الناس إلى أن يخلعوا ربقة الدين من رقابهم ويحرمون هذه النعمة المتحققة في رفع الحرج: "وما جعل عليكم في الدين من حرج"، ويمكن أن تلاحظ أمثلة ما نقول في تلك الفهارس الطويلة للطقوس والعبادات، والفرائض والسنن المحدثة، التي عملت فيها البدع عملها بكل حرية وانطلاق.

ومن خصائص الدين والشريعة الإسلامية الانسجام التام، والوحدة العالمية، فلا يتغيران، ولا يتفرقان في عصر وزمان، فلو سافر مسلم من بقعة في العالم الإنساني إلى بقعة أخرى، لا يلقى أي صعوبة وحرج في العمل بالدين، وتطبيق الشريعة، ولا يحتاج إلى منهج

مخصص، أو دليل محلي، أما البدع فلا توافق ولا انسجام، فهي تصهر في بوتقة محلية في كل مكان، وتضرب في دار الضرب لمدينة ما من المدن أو بلد من البلدان، وتكون نتاج العوامل التاريخية المحلية الخاصة، والمصالح الشخصية، والأغراض الفردية الخاصة، فتخصص بدع كل بلد من البلدان، بهذا البلد نفسه، بل بدع كل ولاية، وكل مدينة وخرافاتها، بل بدع كل حي من الأحياء وكل بيت من البيوت، وأباطيلها وخرافاتها تختص بها نفسها، ينتج من كل ذلك دين متعارض يصطدم بعضه ببعض في كل قرية وبلد، وكل حي ومنزل.

لهذه المصالح الشاملة الخالدة التي نعلم بعضها ولا نحيط بها، نهى الرسول صلى الله عليه وسلم من اقتراب البدع، وأمرهم باجتناب كل المحدثات في الدين، والحفاظ على السنة، والتمسك بها، يقول عليه الصلاة والسلام:

"من أحدث في أمرنا هذا، ما ليس منه فهو رد"، "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".

وتنبأ بهذه النبوة الحكيمة: "ما أحدث قوم بدعة إلا رفع بها مثلها من السنة"[1].

---

[1] راجع للتفصيل: كتاب "العقيدة والعبادة والسلوك" للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، ص: ٩١- ٩٧.

الأصل الثاني
الرسالة والنبوة

ما هي الرسالة والنبوة؟

الرسالة هو الإيمان بالأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده في فترات التاريخ المختلفة؛ ليعلموهم أوامر خالقهم ونواهيه، لأنهم لا يقولون إلا ما يوحى إليهم ولا يفعلون إلا ما يؤمرون به، فتعاليمُ كل نبي هي الرسالة الإلهية المنزلة إليه من عند الله، فيبلغها إلى قومه الذين أرسل إليهم، ويقول: إني رسول الله إليكم ولا أقول إلا ما أوحى إليَّ ربي اللهُ، فاتبعوا ما جئت به إليكم من عنده، فالإيمان بالرسل هو المحور الثاني للشريعة الإسلامية، وقال تعالى عن نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ " (الأحزاب: ٤٠).

الأنبياء السابقون:

قال الله تعالى: " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " (نوح: ١- ٢) وقال عن النبوة في ذريته: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ " (الحديد: ٢٦) وقال: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ " (إبراهيم: ٥) وجاء عن بشرية الأنبياء بكل وضوح: "قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (إبراهيم: ١١) وقال: " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ " (النمل: ١٥) وقال: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" (الصف: ٦) وقال: " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا " (النساء: ١٦٣- ١٦٦)

مهمة النبوة والرسالة:

" دعا سائر الأنبياء والرسل؛ من النبي الأول آدم إلى النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، إلى نبذ الإشراك بالله، وإلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، لأن الله هو الذي لا إله إلا هو، وهو الذي خلق هذا الكون، وهيأ فيه جميع الأسباب التي يحتاج إليها الإنسان، وسهل له الحصول عليها ليستخدمها ويستفيد منها كل الاستفادة، فعقيدةُ التوحيد قوام الحياة الإنسانية، وليس للإنسان أن ينسى خالقه وربَّه والمحسن إليه، ويدعو غيره، ويذل نفسه بإخضاع جبهته أمام الحيوانات والجمادات، ويعبد كل ما يحس فيه قوة لجلب المنفعة أو دفع المضرة، ويقول: فلان ينصرنا، وفلان يحقق حاجتنا، وفلان يحسن إلينا، وفلان

يرزقنا، وفلان يمطر، وفلان يمرض، وفلان يشفي، ويرجع الفضل والمنّ إلى الذي لا يستطيع أن ينفع حتى نفسه، ويطلب منه ويسأله حاجته كلها، فكيف يرضى الله المالك الخالق الحقيقي الذي أنعم على الإنسان كل ما يفتقره، بل خلقه نفسه ويرزقه، بأن يشرك به غيره في ألوهيته وربوبيته، وخلاقيته وقدرته المطلقة، لإن الشرك لظلم عظيم، يغفر الله كل ذنب إلا الشرك، فالشرك أبغض إليه، وأشد مقتاً.

فمنع سائر الأنبياء والرسل والمصلحين، قبل كل شئ، من الشرك، ولم يألوا جهداً في استئصال شأفة الوثنية، واجتثاثها من جذورها، بحيث لا يبقى لها عين ولا أثر، وفي ترسيخ عقيدة التوحيد في أعماق النفس الإنسانية ترسيخاً، وغرس رغبة في إرضاء الله وعبادته، وخدمة الإنسانية، والانتصار للحق، وما زالوا يدعون إلى إصلاح ما وقع من فساد وسوء في الأخلاق والحياة الإنسانية والسلوك الإنساني، في مختلف بقاع الأرض، فمثلاً عمّ في قوم الانحراف الخلقي وممارسة الجنس مع الإشراك بالله، كما وقع في قوم لوط، فمنع النبي لوط عليه السلام قومه من هذه السيئات، وعمَّ في أمة وبقعة بخسُ الحقوق، ونقصُ المكيال والميزان، كما وقع في قوم مدين، فنهى النبي شعيب عليه السلام قومَه من هذا الظلم، وانتشر في قوم الظلمُ على الضعفاء والاستكبارُ والتكبُّر والاستعلاءُ على الخالق الحقيقي كما وقع في قوم فرعون في مصر، فبعث النبي موسى عليه السلام فيهم، فمنعهم مما كانوا عليه من ظلم وعُلُوٍّ في الأرض، وأنذرهم من عذاب الله الشديد، ونهى عن الشرك، فدعا جميعُ الأنبياء والرسل إلى عقيدة التوحيد الخالص والعبودية الخالصة لله وهو خالق الأكوان كلها وصانعُها

وربُّها، ونهوا عن الشرك، والظلم، والفساد في الأرض، ودعوا إلى الالتزام بالصفات الإنسانية الكريمة التي يتميَّز بها الإنسان عن المخلوقات الأخرى، ويكون باختيارها صالحاً لأداء الأمانة العظيمة الجليلة التي حملها الإنسان وأبت السموات والأرض أن يحملنها"[1].

فقد بعث الله عز وجل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ليقوم بهداية الإنسانية إلى الصراط المستقيم، واتباع الأوامر الإلهية، والشرعة الربانية التي جاء بها من عند ربِّه.

وقد جاء النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم في آخر الفترة للحياة الإنسانية في المعمورة، يكمل الدين والشريعة حيث تشمل الكون كله، وتسع البرية كلها، وكانت سلسلة النبوة قبله توقفت برفع عيسى عليه السلام إلى السماء، بعدما لقي القسوة والجفاء والإعراض من قومه، فقد آذاه قومه أشد الأذى، واحتقروا تعاليمه، واستهزأوا بالهداية السماوية، فحرّمهم الله من بركة النبوة، وانقطعت صلتها بالأرض إلى ستة قرون، حتى ظهر الفساد في البر والبحر؛ بما كسبت أيدي الناس، وعمت الفوضى في جميع شعب الحياة الإنسانية، ومقتهم الله.

ثم رحم الله الإنسانية، فبعث خاتم النبيين رسول الإنسانية محمد بن عبد الله الأمين، فوصل من مهمة النبوة ما كان منقطعاً، وأكمل ما كان ناقصاً، فجاءت شريعته أكمل وأتمّ شريعة، وأجمع وأشمل طريقة؛ تحمل في طياتها الخير والرحمة للإنسانية جمعاء، لا تنحصر في

---

[1] سراجاً منيراً سيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم للمؤلف، تعريب: الأستاذ محمد وثيق الندوي، ص: ٧٤- ٧٥، دار الرشيد لكناؤ (الهند).

قوم دون قوم، ولا تخص بلداً دون بلد، وإنما الشرائع السابقة جاءت قاصرة على أمة، أو شعب، أو منطقة خاصة، وتختلف فيما بينها في بعض الأحكام والتوجيهات بحسب ضرورة الواقع ومقتضيات طبيعة الأمة، وأكبرُ السر في فضل الشريعة المحمدية أنها مكملة للشرائع السابقة، وناسخة لها، وجامعة لخير كل شريعة، وهي الصفة البارزة التي تنفرد بها الشريعة الإسلامية، وقد جاء في القرآن الكريم: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" [المائدة: ٣].

صحابة الرسول رضي الله عنهم ورضوا عنهم

إن جماعة الصحابة المؤمنة كانت كالطود العظيم في الانقياد والطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم والحب له، واتباع الدين الإسلامي الذي جاء به، ثم تحولت هذه الجماعة المؤمنة إلى كتلة بشرية هائلة لا يوجد لها مثيل في التاريخ الإسلامي كله، في الصلاح والصفاء، والأمانة والطاعة، والإيمان والتسليم، والانقياد والاقتداء، وكانت في الواقع مقررة من عند الله الذي قضى بأن لا يكون نبي بعده، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم من تربوا في تربيته الحكيمة الدقيقة وتلقوا منه هذا الإيمان الواسع العميق والتعليم النبوي المتقن، حاملين للخصائص الإيمانية العليا، والصفات الإنسانية المثلى ومكارم الأخلاق ليقوموا بنشر هذا الدين الإسلامي والدعوة إلى اختيار الصفات الإنسانية النبيلة ممثلين للنبوة تمثيلاً صحيحاً صادقاً، وكان كل منهم شمساً وقمراً في شخصيته الفذة، وحياته الإيمانية، فقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم".

نال منهم الأولويةَ أكثر من كان أقربهم إليه صلى الله عليه وسلم، فكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أقربهم إليه، وكان صديقاً له قبل النبوة، وكان في سنه تقريباً؛ لأنه كان أصغر منه سنتين ونصف، وهو أول من تولى مسئولية القيام بخدمة الدين الإسلامي وصيانته ونشره بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، واختير أول خليفة للرسول صلى الله

عليه وسلم، ثم اختير بعده ثلاثة خلفاء بالترتيب نابوا عنه نيابة صادقة، وتسموا "الخلفاء الراشدون" واستمرت بهم الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ثلاثين سنة من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وقام الصحابة الكرام بتنفيذ النظام الإسلامي للحياة وفق المنهج الأقوم الذي اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته، في الأخلاق، والسلوك، والمعاملات، والعبادات، والاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، وفي جميع شعب الحياة، وربى صحابته عليه تربية حسنة قويمة، وبذلك وجد مثل أعلى للقرون الآتية، وتقررت محجة بيضاء وجادة مستقيمة للدين والشريعة ليلها كنهارها، أسوة للأجيال القادمة.

السابقون الأولون والعشرة المبشرة:

لقد واجه السابقون الأولون إلى الإسلام أذى كثيراً بأيدي الكفرة الظلمة فاق الحسبان، وعذبوا تعذيباً شديداً تجاوز عن قوة الاحتمال، وظُلِموا لأنهم آمنوا، واستمرت هذه المعاناة القاسية سنين، وابتلى بهذا لبلاء العظيم الذين كانوا ذوي قوة وعزّ ومنعة في أسرهم، ولم يكونوا يحتملون أدنى إساءة إليهم بأي حال، مهما يكلف ذلك، ولو جرَّ ذلك إلى الحرب، ولكن المؤمنين أمروا بأن يكفوا أيديهم، ويصبروا على أذاهم، ولم يكونوا يعلمون إلى متى تستمر هذه المحنة، أ تنتهي أم لا؟ ففي هذه الحالة القاسية لايستطيع الصبر وكظم الغيظ والتحمل إلا الأقوياء وأصحاب القلوب القاسية كالحجارة، أو المظلومون الضعفاء الذين لا يملكون أي قدرة على المواجهة والرد على الظلم، ولكن هؤلاء المؤمنين القرشيين كانوا لقادرين على الانتقام وأخذ الثأر، ولكنهم كانوا يصبرون ويحتملون

الأذى بأمر ربهم، ولذلك زادت مكانتهم ودرجاتهم، ولقبوا بـ "السابقون الأولون" وقد ورد في القرآن الكريم:

"وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [التوبة: ١ ..].

وجاء في موضع آخر:

"لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" [الحديد: ١ ..].

وهذه حقيقة ناصعة أن السابقين الأولين واجهوا الأوضاع القاسية أكثر ممن آمنوا بعدهم، وإن التضحيات وروائع الفداء والولاء والطاعة والانقياد التي قدموها كانت أعلى وأرفع مما يتخيله المتخيلون، وكانت هذه المحن والابتلاءات قبل الحياة المدنية في العهد المكي الذي قاطعهم فيه أقاربهم وذووهم وأذاقوهم ألواناً من الأذى والتعذيب، ثم هاجروا إلى المدينة تاركين وراءهم بيوتهم وممتلكاتهم وذراريهم ابتغاء لوجه الله، مخلصين للدين، وقد كانت لهذه التضحيات والولاء والفداء والصلة الحميمة وقع على قلبه صلى الله عليه وسلم، فبشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بإذن الله بأن لهم الزلفى والدرجة العظيمة عند ربهم لما عملوا وقدموا في الدنيا من تضحيات عظيمة، وأعمال جليلة، من هجر الوطن، ومغادرة الأهل والمال، في سبيل ربهم، وأخبرهم بأن ربهم رضي عنهم وذلك هو الفوز العظيم.

ويقال للطبقة الأولى من هؤلاء المؤمنين الصادقين " العشرة المبشرة " وأبشروا بأنهم في الجنة، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف:

"أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة"[١].

وإضافة إلى هؤلاء العشرة المبشرة، بشر الرسول عدداً من الصحابة على حدة، كما بشر الصحابة المشاركين في غزوة بدر، وبيعة الرضوان، ، فقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله عز وجل اطلع عل أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم"[٢]. وقال: " لن يدخل النار رجل شهيد بدراً والحجيبية"[٣]. وكذلك بشر بعض الصحابيات، وكلُّ ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم أو يبشر به لا يكون إلا بإذن الله تعالى، وقد جاءت هذه البشارات باسم هؤلاء الصحابة الكبار في أوقات ومناسبات مختلفة. وكذلك بشر عامة الصحابة، فقد ورد في القرآن الكريم: "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" وبشرهم لسان النبوة أيضاً والنبي لا يقول إلا بما يوحي إليه " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى" [النجم: ٣- ٤].

فكانت هذه البشارات وفق وحي الله، فبذلك أخبرهم الله تعالى في حياتهم الدنيوية بأن لهم الجنة.

الخلفاء الراشدون:

وقد فاق الأربعة الأولى من بين العشرة المبشرة، وعظمت

---

[١] رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف الزهري.

[٢] أبو داؤد.

[٣] حديث صحيح أخرجه أحمد كما ذكره الألباني.

درجاتهم، وقد ناب هؤلاء الأربعة عن الرسول بعد وفاته في صورة الخلافة الراشدة، ودُعوا الخلفاء الراشدون، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين"[1].

وظل هؤلاء الخلفاء الراشدون من بعد وفاته يقومون بالحفاظ على منهاجه، ويؤدون مهمته النبوية بغاية من الجد والإخلاص والأمانة، وبذلك تحققت نبوءة الرسول بأن خلافة النبوة بعده تستمر ثلاثين سنة، الخليفة الأول هو أبو بكر الصديق، والخليفة الثاني هو عمر بن الخطاب، والخليفة الثالث هو عثمان بن عفان، والخليفة الرابع هو علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، وبعد وفاة علي بن أبي طالب تولى نجله الحسن أمور الخلافة ستة أشهر، اكتملت بانقضائها مدة ثلاثين سنة، وقد مُدَّ عهد الخلافة الراشدة إلى عهد خلافته، وبمُضيٍّ عهد الخلافة اكتملت أربعون سنة من التقويم الهجري، عشر منها قد انقضت في العهد المدني في إنشاء النظام الإسلامي، وإرساء قواعده، وتكوين المجتمع الإسلامي، وثلاثون منها انقضت في تنفيذ هذا النظام الإسلامي وتمثيله، وفي هذه المدة الممتدة على ثلاثين سنة توسعت رقعة الإسلام من الجزيرة العربية إلى البلدان المجاورة، وامتدت مساحته، وفُتحت مناطق جديدة، ومُصِّرت الأمصار، ولما ارتدت بعض القبائل العربية إثر وفاته صلى الله عليه وسلم ظناً منها أنها بعد وفاته قد تحررت، وليس عليها اتباع الإسلام وامتثال أوامره ضرورياً، بذلت الجهود، واتخذت الإجراءات لإعادتهم إلى عقيدة الإسلام ونظامه، فقمعت هذه الثورة وفتنة الردة بأمر الخليفة الأول بإرسال الجيش إلى

---

[1] رواه الترمذي.

المرتدين ومانعي الزكاة، واستمر تنفيذ النظام الإسلامي الأمثل وتطبيقه على الحياة بطريقة حسنة، وقد انتشر الإسلام في مدة الخلافة الراشدة من وسط آسيا إلى إفريقيا، وتوسع نطاقه توسعاً هائلاً.

وإن عهد الخلفاء الراشدين الممتد على ثلاثين سنة، عهد مثالي، وهو نموذج رائد للنظام الإسلامي الصحيح السليم، وكل نظام يترسم خطى الخلافة الراشدة ويحتذيها، فهو إسلامي، وإلا فلا يكون إسلامياً[1].

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى:

" والصحابة رضوان الله عليهم خيار المؤمنين وخير الخلائق بعد الأنبياء عليهم السلام ونشهد بالجنة والخير للعشرة المبشرة، ونؤقر أهل البيت وأزواج الرسول أمهات المؤمنين، ونحبهم ونعترف بعظم محلهم في الإسلام، وكذلك أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، وأهل السنة يرون عدالة الصحابة ولا يعتقدون عصمتهم، ويمسكون عما شجر بينهم".

ويقول: "وأبو بكر الصديق رضي الله عنه إمام حق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم".

و يقول: " وأبو بكر وعمر أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ونكف ألسنتنا عن ذكر الصحابة إلا بخير، وهم أئمتنا وقادتنا في الدين، وسبُّهم حرام، وتعظيمهم واجب.

---

[1] يبتدى هذا العهد من شهر ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ربيع الأول ٤١هـ.

ولا نكفر أحداً من أهل القبلة، إلا بما فيه نفى الصانع القادر المختار، أو عبادة غير الله، أو إنكار المعاد والنبي، وسائر ضروريات الدين، واستحلال المعصية كفر (إذا صح ثبوتها معصية) والاستهزاء بالشريعة والاستهانة بها كفر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب بشرط أن لا يؤدي إلى الفتنة، وأن يظن قبوله"[1].

---

[1] العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، ص: ٨.

أولياء الله

هم المؤمنون المتقون، العارفون بالله تعالى وصفاته، المحسنون في إيمانهم، والمتبعون للسنة النبوية المطهرة لأن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(آل عمران: ٣١)

وقال: " إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ " (الأنفال: ٣٤)

وقال: " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ " (يونس: ٦٢- ٦٣)

وجاء في حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري في كتابه الجامع الصحيح في كتاب الرقاق في باب التواضع: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: من عادي لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبد بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه".

وأما كرامات الأولياء فهي حق، يكرم الله بها من يشاء، ويختص برحمته من يشاء، ولا يسقط التكليف عن أحد مهما بلغ من الولاية والمجاهدة والجهاد، ولا يزال مكلفاً بالفرائض، ولا يحل

له شيء من المحرمات، والمعاصي، ما دام صحيح الحواس واعياً، والنبوة أفضل من الولاية إطلاقاً، ولا يبلغ أحد من الأولياء وإن كان أعظمهم، درجة صحابي، وإن لم يكن من كبار الصحابة رضي الله عنهم، وفضل الصحابة على الأولياء بكثرة الثواب وعظم القبول لا بكثرة العمل.

فصحابة الرسول هم أولياء الله حقاً، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ووعدهم الله بالمغفرة وجنات عدن وأجر كبير، ثم الأمثل فالأمثل، والأقرب فالأقرب، كما جاء في حديث صحيح: خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم... الخ، كلهم فقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد.

أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
(هم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعترته)

قال الله تعالى: " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا "(الأحزاب: ٣٣).

نزلت الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأدخل النبي صلى الله عليه وسلم في النسب فاطمة وزوجها علياً وابنيهما حسناً وحسيناً بإلقاء كسائه عليهم، وبقوله: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً"[1].

ويقول العلامة المحدث الشيخ عبد الحي الحسني رحمه الله تعالى: " أما الزوجات فلكونهن المرادات في سياق هذه الآية، ولكونهن الساكنات في بيوته صلى الله عليه وسلم، النازلات في منازله، وأما دخول عليّ وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم أهل بيته في النسب"[2].

---

[1] سنن الترمذي: باب سورة الأحزاب: ٣٢٠٦، ومسند الإمام احمد: ٢٨٥/٣، والمستدرك للحاكم: ١٧٢/٣. وفي الباب أخبار كثيرة ذكرها ابن كثير في تفسيره، وانظر للتفصيل كتب التفسير والحديث في تفسير هذه الآية الكريمة.

[2] تنوير الآفاق شرح تهذيب الأخلاق، ص: ٩٧.

كانت زوجتان من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم قد توفيتا في حياته الطيبة، فأصبحت وفاتهما أسوة للمسلمين في حالة وفاة زوجتهم، كانت زوجته الأولى المطهّرة خديجة الكبرى رضي الله عنها التي عاشت معه خمساً وعشرين سنة، ولم يتزوّج الرسول في حياتها بامرأة أخرى، وكانت تؤازره وتؤانسه، قد توفيت في العهد المكّي، ثم توفيت زوجته أم المساكين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها في العهد المدني، وأما الزوجات المطهرات الأخرى، فتوفي الرسول عنهن، وهن أحياء، فبذلك أصبحن الأرامل، وقدمن أسوة حسنة للأرملة المسلمة، ولعل ذلك هو السبب في عدم زواجهن بغيره صلى الله عليه وسلم؛ لكيلا تختلط الأخلاق والعادات التي اكتسبن إياها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخلاق والأطوار المكتبسة من الآخرين، وقد ورد في القرآن الكريم أنه ليس للمسلمين أن يتزوجوا بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم من بعده، وأما أسماء الزوجات المطهّرات التي بقين من بعده فهي فيما يلي:

١. عائشة الصديقة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.
٢. حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.
٣. سودة بنت زمعة القرشية رضي الله عنها.
٤. أم سلمة هند بنت أبي أميّه حذيفة بن المغيرة القرشية المخزومية، رضي الله عنها.
٥. زينب بنت جحش، رضي الله عنها.
٦. جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، رضي الله عنها.

٧. أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، رضي الله عنهما.

٨. صفية بنت حيي بن أخطب، رضي الله عنها.

٩. ميمونة بنت الحارث الهلالية، رضي الله عنها.

كان الناس قبل الإسلام يتزوّجون بعدة نساء حسب رغباتهم وأهوائهم، فلما جاء الإسلام منع من تعدُّد الزوجات، وأذن بزواج أكثر من واحد إذا اقتضت الضرورة، ولكن حدّد ذلك في أربع زوجات بشرط المساواة والعدل بينهن.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعدل بين زوجاته، ويعامل معهنّ معاملة المساواة، خلال إقامته بالمدينة المنورة، ويقسّم لهن الليالي والأيام، وإذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه، فأيهن خرج سهمها ذهب بها معه، وبذلك يمنح كلاً منهن فرصة الصحبة في السفر، وكل ذلك كان بوحي الله إليه؛ لأنه لا يصدر في أي شأن من شؤونه إلا عن وحي الله، ولا يعمل بما اشتهت نفسه، ولم يكن يخلو أي عمل من أعماله التي يقوم بها بأمر الله عن مصلحة وحكمة أرادها الله فيه، فكانت أحواله العائلية كلها مبنيّة على الحكم الإلهية، والمصالح الاجتماعية.

كانت كل زوجة من زوجاته تحمل خصائص وفضائل خاصة بها دون غيرها، وتساعده في القيام بأعباء الدعوة إلى الله، وقد قرر الله أن يجعله هادياً للأمة، وأسوة حسنة ومثالاً يحتذى للحياة الإنسانية، قرر أن يكون أسوة مثالية للحياة العائلية، وحلّ المسائل التي تحدث بين الزوج والزوجة، وكانت زوجاته خير وسيلة

لاطلاع الناس على الأسوة النبوية كحكم شرعي في أحوال الحياة العائلية، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم وأسوته في الأحوال المتعددة والمواقف الكثيرة، وكذلك كان يسكن إلى أزواجه كإنسان، وهن كن خير معوان له في كثير من الأحوال والأمور من حياته، ويثبتن قلبه ويسلين نفسه.

وكانت سائر أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم أعواناً له على القيام بما أكرمه الله به من تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، وتعليم المسلمين دينهم، كما كن سبب تسلية وتقوية له، ويساعدنه في القيام بما يتعلّق بحياته المنزلية والشخصية وكثير من أحكام الدين والأخلاق، إنه توفّي عن تسع زوجات، غير خديجة وزينب بنت خزيمة، فقد توفّيتا في حياته.

وقد جعل الله تعالى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه في الحياة أسوة لاتباع الشريعة وأحكام الدين إلى يوم القيامة، فإن أعماله وأقواله وسيرته لتهدي الإنسان في كل ما يهمّه من مشاكل، أو يجدّ له من أوضاع ومستجدات، وعند ما يحدث لأحد صور مختلفة للزواج بامرأة، وما هو يمكن اختياره في هذا الشأن؟ فعليه أن يراجع إلى سيرته الجامعة، فيجد فيها ما يحلّ مشكلته.

ويشاهد في الحياة العامة أنه إذا تزوّج أحد بأكثر من واحد يصعب عليه أن ينصف بين زوجتين فضلاً عن المساواة بينهما، فإن العدل بين الأزواج هي ميزة متميزة وخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم، فتزوّج الرسول بأكثر من واحدة، وعدل بين زوجاته، ولم يمل إلى إحداهن، ولا يترك الأخرى كالمعلقة، وإذا تزوج أحد بأكثر

من واحدة فإنه يجد في أسوة الرسول ما يهديه في حياته الزوجية والعائلية ويرشده إرشاداً، فأصبحت بذلك حياة الرسول صلى الله عليه وسلم العائلية خير نموذج لاختيار ما أمر الله به من إحسان، وسلوك حسن عادل، وعاطفة إنسانية خيرة مع الزوجة.

ولم تكن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أزواجه حياة ترف ورفاهية، وتوسُّع في المطاعم والمشارب، وخفض العيش، بل كانت حياة زهد وتقشف، وإيثار وقناعة لا يطيقها أعاظم الرجال، وكبار الزهاد في القديم والحديث، وأشرك أزواجه في هذه الحياة الزاهدة المتقشفة، وقال لهن: إن كنتن تردْن الحياة الدنيا وزينتها وراحتها وبذخها، فتعالَين أمتعكن وأسرّحكن سراجاً جميلاً، ثم أمهلهن أن يفكرن في ذلك، ولكنهن اخترن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبته، وآثرن الحياة الأخروية على الحياة الدنيا، والحياة المتقشفة على الحياة الباذخة الرغيدة، وعشن معه حياة حب وتعاون ومودة، وقدمن مثالاً عالياً للأسرة الملتزمة بالمثل الإنسانية العليا، والقيم الخلقية المثلى، والحياة العائلية النموذجية[1].

---

[1] سراجاً منيراً سيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم للمؤلف، تعريب: الأستاذ محمد وثيق الندوي.ص: ٣٩٦- ٤٠٨.

أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم وأسباطه

عاشت السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها مع زوجه العظيم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم٢٥ سنة، كانت خمس عشرة من قبل النبوة، وعشر سنوات بعد النبوة، ولدت له ولدين، وأربع بنات، أما الولدان فهما: القاسم وعبد الله الطيب الطاهر الذي مات صغيراً[١] وأما البنات الأربع، فإحداهن زينب، وهي أكبر أولاد النبي إلا القاسم، فهو أكبر منها، ولدت قبل البعثة بعشر سنوات، وتزوّجها أبو العاص بن الربيع بن لقيط، وماتت في حياة الرسول سنة ٨ من الهجرة، وولدت زينب لأبي العاص علياً وأمامة[٢].

والبنت الثانية: هي رقية، ولدت سنة تسع قبل النبوة، وتزوّجها عتبة بن أبي لهب، ثم طلّقها لضغط من أبيه أبي لهب الذي عادى الرسول عداء شديداً عندما صدع الرسول صلى الله عليه وسلم بما أمر من قبل الله، فتزوجها عثمان، وماتت هي أيضاً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة[٣].

وأما ابنته الثالثة: فهي أم كلثوم رضي الله عنها، ولدت قبل

---

[١] البداية والنهاية: ٥/٣٠٧.

[٢] سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي: ١١/٢٩-٣٢.

[٣] نفس المصدر ص: ٣٣-٣٥، وأنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري: ١/٤٠٤.

النبوة، وتزوجها عتيبة بن أبي لهب، ثم أجبر أبو لهب ابنه على أن يطلّقها، فطلّقها، ولما توفّيت رقية رضي الله عنها في السنة الثانية من الهجرة، زوج الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان ابنته أم كلثوم، ولذلك لقب عثمان بذي النورين، وتوفيت عنده ولم تلد منه. توفّيت في سنة تسع من الهجرة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم[١].

وابنته الرابعة هي فاطمة رضي الله عنها أصغر بنات الرسول صلى الله عليه وسلم من خديجة الكبرى، ولدت قبل النبوة بخمس سنوات، تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد امتازت بين أخواتها بأن نسل الرسول صلى الله عليه وسلم استمر بها، ولدت فاطمة ولدين الحسن والحسين رضي الله عنهما، وقد عاشت في حياة الرسول الطيبة، وتوفيت بعد وفاة الرسول بستة أشهر[٢]. وقد صحبت الرسول صلى الله عليه وسلم طول حياته؛ لأنها كانت معه قبل الزواج، وكذلك كانت معه بعد زواجها لأن زوجها علياً كان يعيش مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي أيضاً معه، ولذلك نالت حظاً أوفر من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وشفقته وعنايته وتربيته الخاصة، وكذلك نال ابناه الحسن والحسين حظاً وافراً من تربية الرسول وعطفه وحنانه، وعودهما الرسول

---

[١] البداية والنهاية: ٣٠٨/٥، سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي: ٣٦/١١.

[٢] البداية والنهاية ٣٠٨/٥، سبل الهدي والرشاد في سيرة خيرة العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي: ٣٧/١١-٥٤.

صلى الله عليه وسلم على الإعداد والسعي لحياة الآخرة، والرغبة عن الدنيا ومتاعها، وقال في فاطمة وولديها كلمات حانية طيبة[١].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحبهما بصفتهما ابني بنته فحسب، بل يحبهما باعتبارهما ابني ولده، وكانا أيضاً بارّين مطيعين، متصفين بسيرة صالحة، وأخلاق كريمة عالية، وسلوك حسن، وقدما أسوة حسنة تظهر من حفدة نبيّ وأسباطه.

وكان هؤلاء الأولاد والبنات كلهم من بطن خديجة الكبرى، إلا إبراهيم، وهو من بطن مارية القبطية التي تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة بسنوات، ولكنه توفّي وهو صبي، وكان ولد بعد وفاة خديجة الكبرى بعدة سنوات[٢].

ولم تعش فاطمة طويلاً بعد وفاة والده محمد صلى الله عليه وسلم، بل عاشت ستة أشهر، ثم لحقت بوالده، وتركت وراءها ولدين يتيمين، كان أحدهما حينذاك في السابعة من عمره، والثاني في الثامنة من عمره، نشآ وترعرعا في رعاية وتربية والدهما، وكان والدهما علي بن أبي طالب أصغر سناً من خليفة الرسول أبي بكر الصديق ٢٧ سنة، ومن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ١٧ سنة، وكذلك كان أصغر من الخليفة الثالث عثمان بن عفان سناً، كان يشاركه في كونه ختن الرسول صلى الله عليه وسلم مع أن عثمان يمتاز عنه بأنه تزوج ببنتي الرسول صلى الله عليه وسلم، واستخلف

---

[١] نفس المصدر: ١١/٥٥-٨٢.

[٢] البداية والنهاية ٥/٣٦٠.

علىٌّ بعد عثمان رضي الله عنهما، وهؤلاء الأربعة يسمّون بالخلفاء الراشدين، واختاروا منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الحكم والإمارة، وسلكوه على أحسن صورة وأقومها، ولم ينحرفوا عنه قيد شعرة، وقدّموا منهج الرسول صلى الله عليه وسلم كأسوة حسنة للحياة الإنسانية، ومدة خلافتهم ثلاثون سنة[1].

---

[1] مقتبس من كتاب: سراجاً منيراً سيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم للمرلف، تعريب: الأستاذ محمد وثيق الندوي، ص: ٤١١.

الأصل الثالث
الآخرة

أما الأصل الثالث فهو الإيمان بالآخرة، فإن الحياة الدنيوية تليها حياة أخرى حيث يجزى الإنسان على أعماله، ويحاسب عليها حتى على مثقال ذرة، فالخير في الدنيا يأتي بالخير في الآخرة، والشر في أعمال الدنيا يأتي بنتائجه وعقوباته في الآخرة كما جاء في القرآن الكريم " لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا " (النساء: ١٢٣) وفي موضع آخر: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " [الزلزال: ٧- ٨]. وقال عز وجل: " إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ" (الغاشية"٢٥- ٢٦) وقال: " إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ " (يونس: ٤) وقال: " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ " (الأنبياء: ٤٧).

وإن حياة الدنيا فانية تافهة، وحياة الآخرة باقية خالدة: " وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " (العنكبوت: ٦٤) والعاقبة للذين لا يريدون علواً في الأرض: " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " (القصص: ٨٣)

البعث بعد الموت:

يقول الله تعالى:

" وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ " [الأنعام: ٣٦].

البرزخ:

ومنزل العبد بين الدنيا والآخرة يقال له برزخ أو قبر، دفن بالتراب أو ألقي في الماء أو أحرق يسأل فيثاب أو يعذب.

يوم القيامة:

قال الله تعالى في سورة النساء:

" اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " [الآية: ٨٧].

وفي موضع آخر:

" إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا " [مريم: ٩٣- ٩٥].

وفيه سورة مستقلة سورة القيامة، قال الله تعالى:

"يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ" [القيامة: ٦- ١٣].

نفخ الصور:

نفخ الصور لفناء الكون ثم لإحيائه وإبقائه، كما جاء في القرآن الكريم:

"وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ" [سورة الزمر: ٦٨- ٧٠].

الحشر:

اجتماع الخلق كله في الميدان وفيهم السؤالات والمحاكمات وجزاء الأعمال ويكون ظل العرش على أهل الإيمان والإخلاص كسبعة ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح.

فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه".

وجاء في الحديث الصحيح القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟، أي: في جلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".

الصراط:

وهو الطريق إلى الجنة وهو الجسر أحد من السيف وأدق من الشعر لأهل الإيمان هو طريق النجاة، ولأهل الكفر طريق الهلاك والدخول في النار، قال الله تعالى:

" وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " [مريم: ٧١- ٧٢].

الشهادة:

فشهادة الأنبياء المرسلين لأممهم وشهادة أعضاء الجسد كما جاء في القرآن الكريم: يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم" وغيرها من الشهادات الأخرى.

الشفاعة:

" من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" هذا صريح واضح بأن الخلق لا يملكون الشفاعة حتى الأنبياء أو الرسل، وتنال شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أمته، وشفاعة الصالحين لمن أذن له.

الوزن والميزان:

وزن الأعمال حسب نية العامل وكيفية القلب ودرجة العمل وحسب توجيه إيمانه ويقينه وتوكله، وصبر، وشكره، وحسب معرفته بالله وعمله بشريعته وأحكام دينه، وزهده وتواضعه، وبذلك تكون درجة العالم والعارف أكبر وأعظم من درجة العابد غير العالم والعارف، ويقوم الميزان عند ربه، فقد قال جل وعلا.

"وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ" [الأعراف: ٨- ٩].

وقال تعالى:

" فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ " [القارعة: ٦- ١١].

وفي صحيح البخاري حديث يوضح الميزان.

" كلمتان خفيفتان على اللسان، وثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم".(١)

وينفع الدعاء والتوبة والإخلاص أهل الإيمان، فذكر الله تعالى دعاء الملائكة لأهل الإيمان وقال:

"الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [المؤمن: ٧- ٩].

السؤال:

يسأل الله تعالى خلقه من الإنس والجن عن الحياة الدنيوية التي جعلها ليبلوهم كيف قضوا حياتهم، أطاعوه أم كفروه، حتى يسأل الله تعالى النبيين والمرسلين كيف كانت دعوتهم لهداية الخلق، كما قال عز وجل:

" فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ " [الأعراف: ٦- ٧].

والسؤال عن النعيم كما جاء في سورة التكاثر:

١- آخر حديث أخرجه البخاري في صحيحه.

" أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ".

والسؤال عن العمر والشباب، والعلم والمال، لأن الإنسان يرحم بها ويظلم، ويسألن الله العبد يوم القيامة فرداً فرداً عن عمره وعن شبابه وعن ماله وعن علمه كما جاء في الحديث الصحيح.

الجنة ونعيمها وذلك هو الفوز العظيم:

الجنة حق وهي دار نعيم يسكنها النبيون والمقربون والصديقون والشهداء والصالحون، وسائر المؤمنين والمسلمين، حسب مراتبهم، ولا يمكن دخول الجنة إلا برحمة الله تعالى، ومن رحمة الله بالعبد توفيقه للعمل الصالح، ولأهل الجنة درجات متفاضلة، أرفع درجاتها الوسيلة (المقام المحمود) وهي لرسول الله محمد بن عبد الله الصادق الأمين خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهي باقية دائمة، لا تنقطع ولا تزول، ولا نهاية لها، ولها أسماء كثيرة، وجنات عديدة ومتنوعة باعتبار ما فيها من أنواع النعيم، وما يذكر في الجنة من أنواع النعيم ليس له شبيه في الدنيا سوى الاسم، وإن أعظم أنواع النعيم في الجنة هو النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله، ومن نعم الله على عباده الصالحين في الجنة رضوانه وسلامه ومخاطبته لهم في جنات النعيم، وذلك النعيم العظيم الأبدي لا يرثه الإنسان إلا بسبب واحد، وذلك السبب ليس نسباً ولا حمداً ولا ولاء، وإنما هو التقوى، كما قال الله تعالى:

" تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا " [مريم: ٦٣].

والجمع بين الإيمان والتقوى هو عقد الولاية بين العبد والرب تبارك وتعالى كما قال سبحانه.

" أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [سورة يونس: ٦٢- ٦٤].

العرش:

قال الله عز وجل:

" وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [الزمر: ٧٥].

وفي سورة الغافر:

" الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا " [الآية: ٧].

الكرسي:

وهو في معنى المقام وفي معنى العلم والقدرة، وفيه الآية وهي آية الكرسي، قيل فيه، "وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم".

رؤية الله سبحانه لأهل الجنة في الجنة:

قال الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، [سورة القيامة: ٢٢- ٢٣]

وجاء في الحديث الشريف عن ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه

وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ،وأكرمهم على الله عز وجل من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة "(رواه الترمذي).

يقول الشيخ أبو المحاسن ركن الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف بـ "إمام زاده السمرقندي" :

"ومن السنة أن يرى لقاء الله تعالى بالمجازاة حقاً، وعداً لأهل الإيمان، ويرى إدراكه ممتنعاً يدفعه كبرياؤه وعظمته، ويصدق بشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للأمم، وبشفاعة الناس يعضهم بعضاً، وفي الحديث: من كذب بالشفاعة لم ينلها"[1].

---

[1] شرعة الإسلام، ص: ٤٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان، ١٤٢٨هـ.

الخاتمة
الأصول الثلاثة ومصادر الشريعة

إن الحياة الإنسانية في هذه الأرض لا تجري بالسلامة والخير، ولا تبلغ إلى أحسن عاقبتها إلا باشتمالها على أصول ثلاثة للعقيدة والعمل، وهي توحيد الألوهية لله وحده، واتباع الرسول النبي الذي تصل به أحكام هذا الإله الواحد، وجزاء العمل بأحكام الله تعالى في حياتنا في الآخرة. أما عقيدة التوحيد فهي اعتقاد الإنسان بأن خالق هذه الأرض والسموات والكون المشتمل عليهما هو الله الواحد الأحد الصمد، القادر على كل شئ ورب العالمين، فهو إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، ليس كمثله شئ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأبان الله تعالى للإنسان ما هو خير له وما فيه شر له، وجعل له لمعرفة ذلك عقله، وأظهر له علامات تدل على ذلك، قال عز وجل في كتابه: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ". (حم السجدة: ٥٣).

فمبدأ عقيدة التوحيد هو الإيمان بالله تعالى إيمانًا خالصًا لا يشوبه شئ من الشرك، وقد خلق الله كل شئ في السموات والأرض وكل خلائقه تابعة له، ومما خلق في السموات الملائكة الذين يعملون كما يشاء خالقهم، ويجب مع الإيمان بالله الإيمان بالملائكة وأنهم يقومون بالعمل بها حسبما يشاء الله تعالى، ويجب

مع ذلك الإيمان بصحف الله تعالى التي أنزلها على أنبيائه، وآخرها وأتمها القرآن الكريم، ويجب معه الإيمان بأنبيائه الذين يؤدون تبليغ رسالات الله إلى عباده، وخلق الله خلائق كثيرة أسكنها في أوسع عوالمه في الكون وأعلاها مثل السموات التي هي أعلى وأقوى عوالمه التي خلقها، وأهم مخلوق فيها هو مخلوق الملائكة وهي تؤدي أعمالها حسب مشيئة الله، أما خلائق الله تعالى في العالم الأرضي وهو عالم ضعيف بالنسبة إلى السموات فأسكن الله فيه أيضًا خلائق وجعل أشرفها وأفضلها الإنسان ثم الجن، وقرر الله تعالى لهما أعمالاً جعل اختيار العمل بها لهما، وذلك ليبتليهما ويمتحنهما على إيثارهما لطاعة أمر ربهما أو العمل حسب هواهما، ليجزيهما على أداء الأحكام في الحياة الآخرة، وأنزل الله تعالى أوامره بالوحي على بعض عباده الصالحين بتنزيل كتابه وبواسطة رسوله عن طريق ملائكته وذلك ليقوموا بتبليغه إلى الآخرين من عباده.

و فرض الله تعالى في كلا الوجهين على مخلوقيه الجن والإنسان أحكامًا تنظم حياتيهما على ما يليق بهما من خير وصلاح، وكان ينزلها في كل عهد من عهود التاريخ الإنساني السابق على أحد أفراده ممن كان يختاره من أفراد الإنسان أنفسهم، كان يبتعثه إلى قومه لهدايته إلى الحياة الصالحة الطيبة ظاهرًا وباطنًا، وكان آخر هذا الفرد المقرر لتبليغ هذه الهداية محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان النبي الأخير قد جعل الله في نبوته الكفاية إلى يوم الآخرة لتبليغ الأحكام النازلة من الله الإله الواحد الصمد. وجعل لجزاء أعماله المأمورة من الله تعالى عن طريق نبيه الكريم حياة

الآخرة، يحاسب كل إنسان فيها ويجزى على ما قام به في حياته الدنيا من خير أو شر.

فكل إنسان مأمور بالإيمان أولاً بالله الإله الواحد الصمد، ثم بملائكته الذين هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وذكر سبحانه وتعالى في كتابه القرآن المجيد والفرقان المجيد في مواضع مختلفة الإيمان بالملائكة، فقال في أواخر سورة البقرة " كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ "(البقرة: ٢٨٥) ورين في سورة النساء: " وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا " (النساء: ١٣٦) وقال في موضع آخر من سورة البقرة: " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ "(البقرو: ٩٨) وقال في سورة القدر: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ" (١ـ٥). وكما جاء في حديث جبرئيل الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " جاء جبرئيل عليه السلام يعلمكم دينكم "، وإنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث. (صحيح البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم).

و قال الإمام القاضي علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (المتوفى ٧٩٢هـ) في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٩ ط الرسالة العالمية):

" وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكّل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكّل بالرحم ملائكة تدبِّر أمر النطفة حتى يتم خلقها".

البعث الأول هو الإخراج من العدم إلى الوجود أو من بطون الأمهات إلى الحياة الدنيا، كما قال الله تعالى: " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " (البقرة: ٢٨) وقال: " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (النحل: ٧٨) وقال: " هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ " (النجم: ٣٢).

و البعث الثاني هو البعث من بطون القبور إلى محل الاستقرار، يقول الله تعالى: " وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ " (الحج: ٧) ويقول: " أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ " (العاديات: ٩) وهو البعث بعد الموت، فالإيمان به هو التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار، كما قال جل وعلا: " إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ " (الغاشية: ٢٥-٢٦)

و في موضع آخر:

" يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " (الزلزال: ٦-٨)

ومأمور بالإيمان بالكتب التي أنزلها مشتملة على أحكامه وهدايته للإنسان والجن عن طريق أنبيائه ورسله كان يرسلهم من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، وعن طريقهما جعل الإنسان والجن مأمورًا باتباع أحكام ربه التي أكملها وأتمها على هذا الرسول الخاتم للنبيين لتبليغها إلى عباده، قال الله تعالى عنها: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا " (المائدة: ٣). وجعل نجاح الإنسان في اتباعها، فقال: " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (الجاثية: ١٨) وقال الله تعالى: " إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (آل عمران ٣١) وقال: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " (الأحزاب: ٢١)و وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالحياة الطيبة والجزاء الحسن فقال: " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (النحل: ٩٧) وقال: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ " (المائدة: ٩- ١.) وقال أيضًا: " إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ " (النحل: ١٢٨). وجعل الله حصول هذا الجزاء في الآخرة على أعمال عباده التي قام بهداية الإنسان إليها أنبياء الله ورسله، وآخرهم وخاتمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذا الإيمان والتصديق بما سمى الله من كتبه في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور خاصة، كما ذكر عز وجل: " نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ " (آل عمران: ٣- ٤) وذكر في موضع آخر: " وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا " (النساء: ١٦٣). والإيمان والتصديق بأن الله أنزل سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، كما قال جل وعلا: " وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى "(الأعلى: ١٧-١٩).

و أكمل الله تعالى دينه الذي قرره لعباده بآخر أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم باسم الإسلام، فقد قال عز وجل: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ". (آل عمران: ١٩) " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ". (آل عمران: ٨٥).

فهذا الدين ينبع من الأصول الثلاثة: عقيدة التوحيد واتباع الرسول والعمل للآخرة. والعمل بهذه الأصول الثلاثة ذو أقسام، ففيها العقيدة المأمور بها من الله تعالى والعبادة له، وأداء الحقوق والفرائض في مجال الحياة الفردية والاجتماعية حسب الأوامر الإلهية، وبكمال العمل في أوامر ربه مع الإيمان الصحيح يبلغ الإنسان إلى درجة الإحسان، وذلك بتزكية روحه وصفاء قلبه، والإخلاص لله في اتباع أحكامه، والاستحضار بأن الله تعالى معه، معية تليق بجلاله وكماله وعظيم سلطانه، كما قال سبحانه وتعالى: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " (الحديد: ٤)،

وكما جاء في الحديث النبوي الشريف : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ".

فالمصدر الأول لمعرفة أحكام الله للعمل بها هو القرآن الكريم والفرقان الحميد وهو كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفيه الهداية والنور. والإيمان به مثل الإيمان بسائر الكتب مع أن إيماننا بالكتب كالزبور والتوراة والإنجيل ، والصحف السماوية الأخرى كصحف إبراهيم وموسى هو إقرار بالقلب واللسان ، وإيماننا بالقرآن الكريم بالقلب واللسان مع الاتباع بما فيه.

و المصدر الثاني هو سنة الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرته ، وفيهما مثال كامل للحياة الصالحة ، وكلاهما من وحي رب العالمين أنزله في كتابه وجعله في سيرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال الله تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ". (الأحزاب : ٢١). وقال : " مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ " (النساء : ٨.)و قال : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ". (الحشر : ٧). وقد جمع الله بينهما وقال : "الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ". (إبراهيم : ١-٢). وقال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ". (إبراهيم : ٤).

و عن هذا المصدر الثاني للأصول الثلاثة قال الله عنه : " يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ". (الأحزاب: ٤٥-٤٦) وقال تعالى: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ". (الأحزاب: ٤). وقال: " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ". (التوبة: ٣٣).

ويعبر الإيمان بالمبادئ والأسس المذكورة أعلاه بالعبارة التالية:

"آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، والبعث بعد الموت".

وبعد الإيمان بهذه المبادئ والأسس تأتي مرحلة العمل بها وتطبيقها على الحياة عملياً، وهذا ما يسمى بالشريعة التي تبين طرق قضاء الحياة في الدنيا وفق أحكام الله وأوامره، والشريعة تشتمل على توجيهات وتعليمات منزلة على النبي عن طريق الوحي، وكل نبي ورسول يعلم الإنسان ما يتطلب منه ربُّه الله من عبادة وشكر على ما أنعم به عليه، والسلوك الحسن مع الآخرين، كما يعلمه طرق نيل نعم الله والاستفادة منها، وطرق اتباع أحكام الله، ولا يقول نبي إلا ما يوحى إليه، يقول الله تعالى: " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (الجاثية: ١٨). فبهذا الطريق يجمع الدين الإسلامي الذي أكمل على النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، بين العلم والعمل معاً، لا يفرق بينهما.

ولا بد من معرفة هذه المبادئ والأسس التي تتلخص في الأصول الثلاثة، وهي التوحيد والرسالة والآخرة، ويجب الإيمان بها على كل مسلم، وإن معرفتها من أجل العلوم.

وتفرعت من هذه الأصول أربعة مجالات للعمل، وهي دعائم الدين الإسلامي، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف: " بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام".

و إن العقيدة من هذه الأصول الثلاثة تهدي إلى الدعائم الأربعة، وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج، فالاعتقاد بها واجب حتماً والإنكار عنها كفر، وهي معلومة في الدين بالضرورة، والعمل بها يوصل الإنسان إلى مراتب الكمال ودرجات القرب إلى ربه، والمقام العالي في الآخرة من المغفرة والرضوان.

فيجب على كل مؤمن صالح أن يكون عمله بإخلاصه في أداء حق هذه الأوامر الإلهية تحت الأحكام المأمور بها عن طريق الوحي الرباني العظيم إلى خاتم أنبياء الله محمد بن عبد الله الأمين في إطار الشريعة الإسلامية، ويكون كل إنسان مسئولاً عن العمل بها يجزى عليها عندما يدخل في حياته الآخرة، وهي مرحلة البعث بعد الموت، فيجزى الإنسان ثواباً أو عقاباً في حياته الآخرة على أعماله التي قام بها في حياته الدنيا، حفظنا الله من سوء العاقبة فيها، فقد جاء: " من يعمل سوءاً يجز به" وكما جاء: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ". (الزلزال: ٧ـ٨). وذكر الله تعالى الرجل العاصي بقوله: " إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ". (العاديات: ٦ـ١١).

وصرّح الله تعالى لمخلوقاته بقوله: " مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ

اللَّهِ بَاقٍ "، (النحل: ٩٦) ويواجه كل إنسان ذلك في حياته الآخرة كما ورد في قوله تعالى، وذلك بقوله: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ". (الزمر: ٦٨-٧٣).

و وصف أهل الجنة بقوله: " وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ". (الزمر: ٧٤-٧٥).

فهرس الموضوعات

كلمة المؤلف	٣
المقدمة	٦
المبادئ والأسس للعقائد والأصول	١٥
الأصل الأول	١٩
التوحيد	١٩
كلمة التوحيد والإخلاص ورسالتها	١٩
إخلاص العمل لله وحده	٢٠
الإنسان خليفة من الله في الأرض	٢٠
تقررت طاعة الله تعالى بما أظهره نبينا سيدنا محمد	٢١
أهمية العقائد	٢١
أول ما تركزت عليه الأديان السماوية هو إصلاح العقائد	٢٤
الإيمان بالله	٢٨
الإيمان بالقدر	٣٠
القلم والقدر	٣١
العبادة لله وحده	٣٢
القرب بالفرائض أعلى من القرب بالنوافل	٣٣
كل أمر عقيدة كان أو عملاً يرتبط بتوحيد رب العالمين	٣٤
القرآن الكريم يدعو إلى التدبر في وحدانية الله في آياته	٣٥
ألا له الخلق والأمر !!	٣٧
آثار عقيدة التوحيد على الحياة الإنسانية والمجتمع الإنساني	٣٩
لا إشراك في مشيئة الله	٣٩
علم الغيب	٤٠
الشفاعة	٤١
الملائكة	٤١
الكتب الإلهية	٤٣
البدعة والمحدثات	٤٣

الأصل الثاني	٤٦
الرسالة والنبوة	٤٦
ما هي الرسالة والنبوة؟	٤٦
الأنبياء السابقون	٤٦
مهمة النبوة والرسالة	٤٧
صحابة الرسول رضي الله عنهم ورضوا عنهم	٥١
السابقون الأولون والعشرة المبشرة	٥٢
الخلفاء الراشدون	٥٤
أولياء الله	٥٨
أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم	٦٠
أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم وأسباطه	٦٥
الأصل الثالث	٦٩
الآخرة	٦٩
البعث بعد الموت	٧٠
البرزخ	٧٠
يوم القيامة	٧٠
نفخ الصور	٧٠
الحشر	٧١
الصراط	٧١
الشهادة	٧٢
الشفاعة	٧٢
الوزن والميزان	٧٢
السؤال	٧٣
الجنة ونعيمها وذلك هو الفوز العظيم	٧٤
العرش	٧٥
الكرسي	٧٥
رؤية الله سبحانه لأهل الجنة في الجنة	٧٥
الخاتمة	٧٧
الأصول الثلاثة ومصادر الشريعة	٧٧
فهرس الموضوعات	٨٧